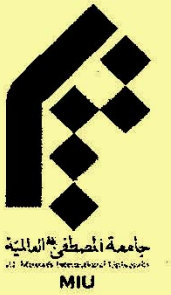

جامعة المصطفى العالمية

رسالة ماجستير

العنوان

الإستفهام في القران الكريم
إستفهام الملائكة حول خلافة الإنسان إنموذجا

الاستاذ المشرف

الدكتور جواد عادل امين

الطالب

اسماعيل شعلان مشرف المحمد

السنة الدراسية

1440 -2019

نزل الرسائل والأطاريح الجامعية العراقية

/https://thesesuniversity.blogspot.com

بنك الرسائل والاطاريح الجامعية العراقية

الإهداء

إليك يارسول الله ...

إليكم يا أهل بيت النبوة والرسالة ...

إليك ياسيدة نساء العالمين...

أقدم هذا الجهد المتواضع راجية القبول

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بوافر الشكر والإمتنان لجامعة المصطفى العالمية التي أتاحت لنا هذه الفرصة للتزود بالعلم والمعرفة، وكذلك الامتنان موصول لأستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة الشيخ الدكتور جواد عادل امين (حفظه الله) الذي كان له الدور الكبير في إغناء البحث وإثرائه بالطابع العلمي واضفائه بالأفكار النيرة والملاحظات الدقيقة، وكذا أكرر شكري الجزيل لكل من أعانني بإرشاداته القيّمة سائلاً المولى ان يحفظ الجميع ويوفقهم لكل خير.

مـلـخص الـبـحث

من الأساليب البلاغية الكثيرة التي أستعملها القرآن الكريم لإيصال رسالته الشاملة والخالدة إلى الإنسان أسلوب الاستفهام، حيث يعتبر من أهمّ الأساليب فى جمالية النصّ وبلاغته لقدرته الفائقة على تحريك عواطف المخاطب، وللاستفهام أهداف وأغراض متنوّعة تستعمل لإيصال المعنى وإستكشاف الخبر، ومن أهم تلك الأغراض البلاغيّة الإنشائية التي تكمن في أساليب الاستفهام تنبيه الإنسان إلى حقائق غيبيّة وواقعيّة، فموضوع البحث تناول جانبا من جوانب بلاغة الاستفهام في الخطاب القرآني، وخصِّصته بإستفهام الملائكة على خلافة آدم التي جعلها الله تبارك وتعالى، واستخلافه في الارض، وبيان حقيقة هذا الاستفهام من قِبل الملائكة والأسباب التي دعت إلى هكذا إستفهام من الملائكة المعصومون عن الخطأ، وجواب الله تعالى عليهم بعدم علمهم بحقيقة هذا الخليفة.

فالسؤال الاساسي للبحث هو كيف استعمل القرآن الكريم أسلوب الإستفهام لإيصال رسالته وماهي حقيقة إعتراض الملائكة على خلافة الإنسان في الارض؟

وقد تعددت النظريات والآراء بهذا الخصوص وحاولت إلى دراسة هذه النظريات والآراء وبيان الرأي الاقرب إلى الصحة فيها، لمعرفة حقيقة الخلافة الالهية التي جعلها الله للإنسان في الارض، من خلال أعتماد المنهج التوصيفي التحليلي، التوصيفي باستقراء الايات القرآنية بخصوص موضوع الإستفهام والآيات القرآنية التي أستعملت هذا الأسلوب بشكل مختصر، وكذلك بحث آيات خلافة الإنسان وإستفهام الملائكة عن هذه الخلافة، والاستعانة بالسنّة الشريفة وبآراء العلماء في سبيل تعزيز الآراء التي يطرحها البحث عند تأصيل موضوعاته، وكذلك الإستفادة من المنهج التحليلي لفهم تلك الآيات وتحليلها بشكل علمي لاثبات فرضيات البحث، وتوصلت إلى بعض النتائج المهمة لهذا البحث ومنها ان الاستخلاف على قسمين عام وخاص. والاستخلاف العام هو استخلاف البشر كلهم في الأرض، وقد بدأ هذا الاستخلاف من

حين أن أهبط الله آدم وزوجته حواء إلى الأرض بعد معصيتهما، وهو يشمل ذرية آدم جميعها، اما الاستخلاف الخاص فهو أن تستقل أمة من الأمم أو فرد من الأفراد في ملكية شيء من الأشياء، وهو بدوره ينقسم إلى نوعين، الأول استخلاف الدول، بأن تستقل أمة من الأمم في إقليم من الأرض تحكم فيه نفسها ويكون لها سلطان يحمي مصالحها ويدبر شئونها، والثاني استخلاف الأفراد، وهذا النوع يكون في استقلال الفرد في ملكية ما تحت يده.

وكذلك من بعض نتائجه التي توصلنا إليها ان سؤال الملائكة على جعل آدم خليفة في الارض هو عن سبب وجدوى جعل مثل كهذا خليفة يفسد في الارض، وهناك عدّة آراء، فمنهم من قال ان استفهام الملائكة كان لعلمهم بطبيعة الانسان وتكوينه وغرائزه التي أودعها الله فيه ومحدودية عالم الدنيا الذي يؤدي لا محالة إلى التزاحم مما يسب الفساد والقتل وسفك الدماء. ومنهم من ذهب إلى ان اللّه سبحانه وتعالى اعلمهم بذلك لأن الملائكة لا يمكن ان يقولوا هذا القول رجماً بالغيب وعملاً بالظن، ومنهم من يرى أنهم قاسوا ذلك على المخلوقات التي سبقت هذا الخليفة الذي سوف يقوم مقامها كما يشير الى ذلك بعض الروايات والتفاسير.

فهرس المواضيع

الإهداء 3
كلمة شكر وتقدير 4
ملخص البحث 5
المقدمة 9
اولا: بيان أهمية الموضوع 9
ثانيا: سبب اختيار البحث وأهميته 9
ثالثا: اسئلة البحث 10
رابعا: فرضيات البحث 11
خامسا: هدف البحث 11
سادسا: منهج البحث 11
سابعا: سابقة البحث 12
ثامنا: خطة البحث 13

الفصل الأول: المباحث التمهيدية

المبحث الأول: تعريف المفاهيم 15
أولا: الاستفهام لغة واصطلاحا 15
ثانيا: الملائكه لغة واصطلاحا 16
ثالثا: القران لغة واصطلاحا 26
رابعا: الخليفة لغة واصطلاحا 27
خامسا: الإنسان لغة واصطلاحا 28
المبحث الثاني: معنى الاستفهام وانواعه في القران الكريم 31
أولا: الاستفهام الحقيقي: 31
ثانيا: الاستفهام المجازي: 32
المبحث الثالث: أسماء الإستفهام وأدواته في القرآن ... 35
أولا: الاحرف 35
ثانيا: الاسماء 40

الفصل الثاني: أسلوب الاستفهام في القران الكريم واغراضه

المبحث الأول: أسلوب الاستفهام في القران الكريم 49
تمهيد 49
الاول: أساليب حكاها القرآن عن البشر 50
ثانيا: اسلوب الاستفهام في مخاطبة الله تعالى للبشر 52
المبحث الثاني: أغراض الاستفهام في القران الكريم 57
1. الاستفهام الإنكاري: 57
2. الاستفهام التقريري 61
3. الاستفهام التعجبي 62
4. الاستفهام التهكمي 62

5. استفهام الأمر والنهي 63
6. الإستفهام لغرض الإستبعاد والإحالة 63
7: الاستفهام لغرض التوبيخ والتنبيه على الضلال 65
8: الاستفهام لغرض العرض والتشويق 65
الفصل الثالث: استفهام الملائكة حول خلافة الانسان
المبحث الأول: الاستخلاف مفهومه وحقيقته 68
تمهيد 68
أولا: مفهوم الاستخلاف 68
ثانيا: حقيقة خلافة الانسان في الارض 71
المبحث الثاني: مبررات استفهام الملائكة لعلمهم بفساد الخليفة 92
المطلب الأول: استفهام الملائكة لعلمهم بطبيعة الانسان وتكوينه 93
المطلب الثاني :علمهم بالخلق الذي سبق الخليفة 95
المطلب الثالث: الله أعلمهم بإن الذي يفسد هم الذرية الفاسدة 101
المطلب الرابع: تعليم آدم الاسماء 103
الخاتمة 109
فهرس المصادر 113

المقدمة

اولا: بيان أهمية الموضوع

يعتبر القرآن الكريم معجزة رسول الله (ص) الخالدة الذي يحمل الخطاب والرسالة الإلهية إلى البشرية كافة، نزل بإسلوب ساحر وبليغ أعجز العرب وهم البلغاء عن الإتيان بمثله لتنوع أساليبه الإقناعية وأساليبه البلاغية، ومن الأساليب البلاغية التي أستعملها القرآن الكريم لإيصال رسالته الشاملة والخالدة إلى الإنسان أسلوب الاستفهام، حيث يعتبر من أهمّ الأساليب فى جمالية النصّ وبلاغته لقدرته الفائقة على تحريك عواطف المخاطب، وللاستفهام أهداف وأغراض متنوّعة تستعمل لإيصال المعنى وإستكشاف الخبر في لغة العرب، ومن أهم تلك الأغراض البلاغيّة الإنشائية التي تكمن في أساليب الاستفهام تنبيه الإنسان إلى حقائق غيبيّة وواقعيّة لإيصاله إلى كماله المنشود.

فموضوع البحث يتناول جانبا من جوانب بلاغة الاستفهام في الخطاب القرآني، ويخصِّص إستفهام الملائكة على خلافة آدم التي جعلها الله تبارك وتعالى، واستخلافه في الارض، وبيان حقيقة هذا الاستفهام من قِبل الملائكة وأسابه التي دعت إلى هكذا إستفهام من الملائكة المعصومون عن الخطأ، وجواب الله تعالى عليهم بعدم علمهم بحقيقة هذا الخليفة.

ثانيا: سبب اختيار البحث وأهميته

أما سبب اختيار هذا الموضوع وأهميته، فبالحقيقة ان أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم من الاساليب الرائعة والبديعة وتتعد أغراضه، فهو ليس مجرد تعابير تضع

حروف وأسماء الاستفهام في الجملة فحسب؛ وإنما يجب فهم دقيق لهذه الجمل الاستفهامية ومعانيها المختلفة، وهذا ما دفعني إلى إختيار هذا الموضوع الشيّق والمهم لمعرفة واحد من أساليب القرآن الكريم الإبداعية، والموضوع في نفس الوقت مهم من جهة كونه يبحث عن مسالة غاية في الاهمية تتعلق بخلافة الإنسان في الارض، فقد تعددت النظريات والآراء بهذا الخصوص فكان من الاهمية التعرض إلى هذه النظريات والآراء وبيان الرأي الاقرب إلى الصحة فيها، لمعرفة حقيقة الخلافة الالهية التي جعلها الله للإنسان في الارض.

ثالثا: اسئلة البحث

السؤال الاساسي:

كيف استعمل القرآن الكريم أسلوب الإستفهام لإيصال رسالته وماهي حقيقة إعتراض الملائكة على خلافة الإنسان في الارض ؟

الاسئلة الفرعية:

1: ما معنى الاستفهام والخلافة لغة واصطلاحاً؟

2: ماهي حقيقة الملائكة وماهي خصائصها؟

3: ماهي أدوات الاستفهام في اللغة وماكيف أستعملها القرآن الكريم؟

4: ماه حقيقة خلافة الانسان في الارض؟

5: كيف نفهم إعتراض الملائكة على خلافة الانسان؟

6: ماهي أهم النظريات والآراء في سبب إعتراض الملائكة؟

رابعا: فرضيات البحث

هناك فرضيات لهذا البحث نختصرها بما يلي:

1: أستعمل القرآن الكريم أساليب البلاغة في اللغة العربية لإيصال رساتله إلى الناس ومنها أسلوب الاستفهام.

2: الانسان هو خليفة الله في الارض من دون بقية المخلوقات الاخرى.

3: الملائكة معصومون لا يمكن إن يكون استفهامهم لسبب خلافة الانسان هو إعتراضهم على الله تعالى.

خامسا: هدف البحث

يهدف البحث إلى بيان حقيقة إبداع آيات القرآن الكريم في استعمال أسلوب الاستفهام لبيان رسالته وإثبات إعجازه البلاغي، وكذلك إلى كشف وجلاء حقيقة استفهام الملائكة الذي ظاهره الإعتراض على خلافة أبونا آدم في الارض ودفع هذه الشبهة عن الملائكة العصومين عن الزلل والمعارضة لأوامر خالقهم، وأخيراً يهدف إلى تقديم فهم واضح عن حقيقة الخلافة التي جعلها الله تعالى لأبينا آدم (ع).

سادسا: منهج البحث

أعتمد البحث على المنهج التوصيفي التحليلي، فالتوصيفي يقوم من خلال استقراء الايات القرآنية بخصوص موضوع الإستفهام والآيات القرآنية التي أستعملت هذا الأسلوب بشكل مختصر، وكذلك بحث آيات خلافة الإنسان وإستفهام الملائكة عن هذه الخلافة، والاستعانة بالسنّة الشريفة وبآراء العلماء في سبيل تعزيز الآراء التي يطرحها البحث عند تأصيل موضوعاته، وكذلك الإستفادة من المنهج التحليلي لفهم

تلك الآيات وتحليلها بشكل علمي لاثبات فرضيات البحث، ولهذا سيكون المنهج المتبع هو التوصيفي التحليلي.

سابعا: سابقة البحث

في الواقع موضوع أسلوب الإستفهام في القرآن الكريم قد تم الاشارة إليه في بعض الكتب البلاغية بشكل مفصل، مثل كتاب منى حسين (الاستفهام في العربية دراسة تركيبية) وكذلك كتاب المؤلف عبد الحليم السيد تحت عنوان (أساليب الاستفهام في القران الكريم) وهو إطروحة دكتوراه تناول الجانب البلاغي في القرآن الكريم عن طريق الإستفهام، وأيضاً كتاب عبد الكريم محمود يوسف وعنوانه (أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم) وهو أيضا تحدث عن الموضوع نفسه، أما بخصوص خلافة الإنسان في الارض فهناك بعض البحوث التي تناولها المفسّرون في تفاسيرهم حول آية الخلافة عند الفريقين، وكذلك هنا بعض الأبحاث المستقلّة والكتب التي أشارت إلى هذا الموضوع بشكل مختصر، مثل كتاب الباحث عبد العزيز لعيادي تحت عنوان (الانسان الخليفة ومهمة الاعمار)، وكذلك كتاب المؤلف محمد امين جبر بعنوان (الانسان والخلافة في الارض) وغيرها من الكتب الاخرى.

لكن الجديد في هذا البحث هو الجمع بين الامرين أعني دراسة أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم بشكل مختصر وفي نفس الوقت تسليط الضوء على حقيقة الخلافة والاستخلاف لأبينا آدم (ع) في الارض وإستفهام الملائكة عن هذا الإستخلاف وكيفيته وحقيقته، فهو بحث جديد جامع للامرين.

ثامنا: خطة البحث

البحث يتضمن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وستكون كما يلي:

في الفصل الاول تحت عنوان المباحث التمهيدية سنتناول في المبحث الاول تعريف المفاهيم الواردة في عنوان البحث وما يرتبط بها من مفاهيم اخرى، وفي المبحث الثاني سنتعرض لبيان معنى الاستفهام وانواعه في القران الكريم وفي المبحث الثالث سنشير إلى أسماء الاستفهام وادواته في القران الكريم.

اما الفصل الثاني فهو بعنوان أسلوب الاستفهام في القران الكريم واغراضه، وسنبيّن في المبحث الاول أسلوب الاستفهام في القران الكريم، ونتناول في المبحث الثاني أغراض الاستفهام في القران الكريم.

اما الفصل الثالث والاخيرفقد خصصّناه لبحث استفهام الملائكة حول خلافة الانسان، وتناولنا في المبحث الاول الاستخلاف مفهومه وحقيقته، وفي المبحث الثاني أشرنا إلى خلافة الانسان وهاجس استفهام الملائكة. اما المبحث الثالث فقد خصصّناه لبحث مبررات استفهام الملائكة، ومن ثم ذكرنا في الخاتمة أهم نتائج البحث.

الفصل الأول

المباحث التمهيدية

ويتضمن المباحث التالية

المبحث الأول : تعريف المفاهيم

المبحث الثاني: معنى الاستفهام وانواعه في القران الكريم

المبحث الثالث: أسماء الاستفهام وادواته في القران الكريم

المبحث الأول

تعريف المفاهيم

من الضروري قبل الدخول في البحث عن المباديء التصديقية يجب الإشارة إلى المباديء التصورية للبحث ومنها تعريف المفاهيم التي وردت في عنوان البحث ليتضح المراد من عنوان وموضوع البحث بشكل شفاف.

أولا: الاستفهام لغة واصطلاحا

1: الاستفهام لغة

لقد اشار علماء اللغة إلى أصل وعنى كلمة الاستفهام لغويًّا، فقد قال ابن فارس "الفاء والهاء والميم: علم الشي" والاستخبار: طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام"[1]، وقال ابن منظور في تعريفه لغة " الاستفهام مشتق من الفهم، الفهم: معرفتك الشي بالقلب" فهمه فهما وفهما وفهامة" علمه، وفهمت الشي "عقلته وعرفته"، وتفهّم الكلام: فهمه شيئا بعد شي" ورجل فهم"سريع الفهم"واستفهمه" ساله ان يفهمه"[2]، وقال الفيروزآبادي في تعريفه" وفهاميه فأنا فاهم،أفهمت فلانا الكلام وفهمته إياه، جعلته يفهمه، وتفهّمت الكلام، فهمته شيئا بعد شيء"[3]

ومن خلال هذه التعريفات نرى ان الاستفهام عرّف بتعريفات عدّة الا انها تدور حول معنى واحد وهو (طلب العلم بشئ بادوات معروفة) ويتضح من خلال تعريف

---

1 . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، وص457.

2 . ابن منظور، لسان العرب ،ج21،ص459,

3 . الفيروزآبادي، القاموس المحيط،ص1056.

الاستفهام "ب طلب العلم بشئ لم يكن معلوما عند المستفهم" وان ها ينطبق على امر يجهله المستفهم.[1]

فالاستفهام هو السّؤال والاستفسار عن شيء لا يعلمه السائل، ويكون ذلك باستخدام أدوات الاستفهام التي ذُكرت بالتفصيل في كتب النحو.

2: الاستفهام اصطلاحا

اما اصطلاحًا فقد اشار جملة من العلماء والمفسرين إلى معناه الاصطلاحي، فقد عرّفه بعضهم بقوله" هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه"[2]، وذكر الجرجاني في كتابه التعريفات حول معنى الاستفهام" هو استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، والاّ فهو التصور"[3]، وقال السيوطي ايضاً في تعريفه" طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلاً عنده مما سأله عنه"[4]

ثانيا: الملائكه لغة واصطلاحا

1: الملائكة لغة

المفهوم الثاني الذي يجب تسليط الضوء عليه هو بشكل واسع ومفصل هو مفهوم الملائكة، وقد جاء في كلمات علماء اللغة إن الملائكة جمع ملك، قال ابن فارس" الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة والملك أصله (ملاك) نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكاً، وهو

1 . القزويني، شرح التلخيص، ص83.
2 . السيوطي، الإتقان، ج3، ص224.
3 . الجورجاني، التعريفات،ص18.
4 . السيوطي، الاشباه والنظائر في النحو، ج7، ص43.

مشتق من الألوكة والملأكة وهي: الرسالة، والملاك: الملك؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى، يقال: ألك؛ أي تحمل الرسالة"[1]

فالمَلَك في اللغة هو حامل الأَلوكة وهي الرسالة، وقد ذهب أكثر العلماء إلى أنه من الآلوكة وهي الرسالة"[2]

2- الملائكة اصطلاحا

اما من الناحية الإصطلاحية، فالملائكة أسم يُطلق على مخلوقات حية عاقلة مجردة ومطيعة لله تعالى. وهم من خلق الله، ولها أصناف ومهام مختلفة في الدنيا والآخرة، عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصوفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يملون ولا يتعبون ولا يتناكحون ولا يعلم عددهم إلا الله.[3] ، وقال الآلوسي في تعريفهم" الملائكة أجسام نورانية، أعطيت قدرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى"[4]

وفي القرآن الكريم كلام صريح حول مغايرة حقيقة الملائكة للإنسان وباقي المخلوقات، أما ماهي حقيقة الملائكة فمورد اختلاف، فأكثر المتكلمين يرون أن الملائكة مخلوقات حية عاقلة عالمة مطيعة لها حرية التصرف.[5]

كما يرون أن الملائكة ذات أجسام لطيفة ومجردة، قال المجلسي" أجمعت الإمامية بل جميع المسلمين إلا مَن شذَّ منهم من المتفلسفين على وجود الملائكة وأنهم أجسام لطيفة نورانية... وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطبائع وتأويل الآيات

1 . ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ص352.
2 . ابن منظور، لسان العرب،ج10، ص392.
3 . عمر سليمان، عالم الملائكة، ص13.
4 . الالوسي ، روح المعاني،ج1، ص218.
5. محمد تقي فلسفي، المعاد، ج1، ص83.

المتظافرة والأخبار المتواترة تعويلا على شبهات واهية واستعبادات وهمية زيغُ عن سبيل الهدى واتباع لأهل الجهل والعمى"[1]

ويقول بعض العلماء في أحوالهم" احياناً يطلق على الملائكة تسمية الرُوحانيين – بضم الراء – وذلك لكونهم أرواح لا شيء معها من المادة كالماء أو التراب أو النار، ومن ثم لا يرون للطافتهم، كما قد يسمون بالرَوحانيين – بفتح الراء – لأنهم غير محصورين في أبنية أو مساكن ولكنهم في فسحة وبساطة"[2]

3. أنواع وأقسام الملائكة

والملائكة بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أنواع وأقسام، فمنهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش وهم الملائكة المقربون، ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام، وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب كما قال تعالى**{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }**[3]

ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائبة ليلا ونهارا صباحا ومساء، ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة، ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم كما قال تعالى: **{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا**

---

1. المجلسي، بحار الانوار، ج56، ص 203.
2. الجرجاني، التعريفات، مادة ملك.
3 . سورة غافر: 7- 8.

بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ}[1]، يقول ابن كثير في تفسير الاية " أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون"[2]

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى:{ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ}**[3]، ويروى عن رسول الله(ص) انه قال" أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم حائط أو بعيره أو يستره أخوه "[4] ومعنى اكرامهم أن يستحي منهم فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها فان الله خلقهم كراما في خلقهم وأخلاقهم.

وروى عبدالله بن موسى بن جعفر(ع)عن أبيه قال: "سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعل السيئة أو الحسنة فقال: (ريح الكنيف والطيب واحد) قلت: لا: قال: إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال قم فانه قد هم بالحسنة فإذا فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده فأثبتها

---

1 . سورة الرعد:10- 11.
2 . ظ: ابن كثير، تفسير ابن كثير،ج4، ص438.
3 . سورة ق:18- 19.
4 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص53.

و إذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فانه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده و أثبتها عليه"[1]

إما وصفهم بالكرام فلما روي من أنهم" إذا كتبوا حسنة يصعدون بها إلى السماء ويعرضون على الله تعالى ويشهدون على ذلك فيقولون: إن عبدك فلانا عمل حسنة كذا وكذا وإذا كتبوا عن العبد سيئة يصعدون بها إلى السماء مع الغم والحزن فيقول الله تعالى: ما فعل عبدي؟ فيسكتون حتى يسال الله ثانيا وثالثا فيقولون: الهي أنت ستار وأمرت عبادك أن يستروا عيوبهم استر عيوبهم وأنت علام الغيوب"[2]

4. صفات الملائكة واعمالهم

الذي ذكره الله سبحانه في كلامه - وتشايعه الأحاديث - من صفاتهم وأعمالهم هو:
أولا: أنهم موجودات مكرمون هم وسائط بينه تعالى وبين العالم المشهود، فما من حادثة أو واقعة صغيرة أو كبيرة إلا وللملائكة فيها شأن، وعليها ملك موكل، أو ملائكة موكلون، بحسب ما فيها من الجهة أو الجهات، وليس لهم في ذلك شأن إلا إجراء الامر الإلهي في مجراه أو تقريره في مستقره كما قال تعالى**{ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}**[3]

ثانيا: أنهم لا يعصون الله فيما أمرهم به فليست لهم نفسية مستقلة ذات إرادات مستقلة تريد شيئا غير ما أراد الله سبحانه فلا يستقلون بعمل ولا يغيرون أمرا حملهم الله إياه بتحريف قال تعالى**{لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [4]

ثالثا: أن الملائكة على كثرتهم على مراتب مختلفة علوا ودنوا، فبعضهم فوق بعض، وبعضهم دون بعض، فمنهم آمر مطاع ومنهم مأمور مطيع لامره، والامر منهم آمر بأمر الله حامل له إلى المأمور والمأمور مأمور بأمر الله مطيع له، فليس لهم من أنفسهم

1 . الكليني، الكافي ، ج3 ، حديث 428 .
2 . الصافي، تفسير الصافي،ج 5 ،ص 296.
3 . سورة الانبياء:27.
4 . سورة التحريم:6.

شئ قال تعالى**{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ}**[1]، ومن هنا يظهر أن الملائكة موجودات منزّهة في وجودهم عن المادة الجسمانية التي هي في معرض الزوال والفساد والتغير ومن شأنها الاستكمال التدريجي الذي تتوجه به إلى غايتها، وربما صادفت الموانع والآفات فحرمت الغاية وبطلت دون البلوغ إليها.[2]

يقول العلامة الطباطبائي في ذيل تفسير قوله تعالى **{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ}**[3]، الإنسان الذي يعلم به الله تعالى في جميع أحواله هو الذي له معقبات من بين يديه ومن خلفه وتعقيب الشيء إنما يكون بالمجيء بعده، والإتيان في عقبه وإنما يتصور التعقيب إذا كان سائرا في طريق ثم كان عليه المعقبات حوله واخبر القران إن الإنسان سائرهذا المسير... فالإنسان وهو سائر إلى ربه له معقبات تراقبه من بين يديه ومن خلفه ومن المعلوم إن الإنسان موجود مركب من نفس و بدن والعمدة فيما يرجع إليه من الشؤون هي نفسه التي لها شعور وإرادة وإليها يتوجه الأمر والنهي وبها يكون الثواب والعقاب وعنها تصدر الأعمال حسنة أم سيئة وينسب إليها الكفر والإيمان، والبدن آلة يتوسل بها للوصول إلى مقاصدها ولذا يتسع معنى ما بين يدي الإنسان وما خلفه، فيعم الأمور الجسمانية والروحية فينطبق أمر التعقيب من بين يديه ومن خلفه على الروح كالبدن، والحالات الروحية التي يتقلب فيها من قرب وبعد وسعادة وشقاء أعمال صالحة أو طالحة وهكذا، والإنسان وصفه الباري تعالى بأنه لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حياةً و لا نشوراً لا يقدر على حفظ شيء من نفسه، وإنما يحفظها الله تعالى وذكر الوسائط في هذا الأمر**{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}**[4]، فلولا حفظه تعالى النفوس بالوسائط التي سماها حافظين تارة و معقبات تارة أخرى لشمله الفناء وأسرع إليها الهلاك.[5]

---

1 . سورة الصافات:164.

2 . محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،ج17، ص12.

3. سورة الرعد: 11.

4. سورة الانفطار:10.

5 . الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج11،ص308.

5: عصمة الملائكة

من المسائل التي أختلف فيها المفسّرون والعلماء مسالة عصمة الملائكة، فالبعض أستشهد بالاية التي سنتناولها بالبحث وهي إعتراضهم على جعل الانسان خليفة في الارض دليلا على عدم عصمتهم لإعتراضهم على أمر الله تعالى والسؤال عن أمر يجهلوه، وبخصوص إعتراض الملائكة فقد أشار الرازي في تفسيره إلى مسائل ولطائف في هذه الآيات بشكل تفصيلي طويل؛ ولانه يدخل في صلب بحثنا الذي نروم بيانه نذكره بإختصار قدر الامكان، يقول الرازي" وأما قوله تعالى (قالوا أتجعل فيها) إلى آخر الآية، ففيه مسائل: المسألة الأولى: الجمهور الأعظم من علماء الدين اتفقوا على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب ومن الحشوية من خالف في ذلك ولنا وجوه: الأول: قوله تعالى: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)، إلا أن هذه الآية مختصة بملائكة النار فإذا أردنا الدلالة العامة تمسكنا بقوله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)، فقوله ويفعلون ما يؤمرون يتناول جميع فعل المأمورات وترك المنهيات لأن المنهي عن الشيء مأمور بتركه... والثاني: قوله تعالى:(بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)، فهذا صريح في براءتهم عن المعاصي وكونهم متوقفين في كل الأمور إلا بمقتضى الأمر والوحي. والثالث: أنه تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في البشر بالمعصية ولو كانوا من العصاة لما حسن منهم ذلك الطعن الرابع: أنه تعالى حكى عنهم أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومن كان كذلك امتنع صدور المعصية منه. واحتج المخالف بوجوه: الأول: أنه تعالى حكي عنهم أنهم قالوا: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وهذا يقتضي صدور الذنب عنهم ويدل على ذلك وجوه، أحدها: أن قولهم: أتجعل فيها، هذا اعتراض على الله تعالى وذلك من أعظم الذنوب؛ وثانيها: أنهم طعنوا في بني آدم بالفساد والقتل وذلك غيبة والغيبة من كبائر الذنوب؛ وثالثها: أنهم بعد أن طعنوا في بني آدم مدحوا أنفسهم بقولهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وهذا للحصر فكأنهم نفوا كون غيرهم كذلك وهذا يشبه العجب والغيبة، وهو من الذنوب المهلكة قال عليه السلام (ثلاث مهلكات، وذكر فيها إعجاب المرء بنفسه)؛

ورابعها: أن قولهم لا علم لنا إلا ما علمتنا يشبه الاعتذار فلولا تقدم الذنب وإلا لما اشتغلوا بالعذر؛ وخامسها: أن قوله: (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) يدل على أنهم كانوا كاذبين فيما قالوه أو لا؛ وسادسها: أن قوله: (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) يدل على أن الملائكة ما كانوا عالمين بذلك قبل هذه الواقعة وأنهم كانوا شاكّين في كون الله تعالى عالما بكل المعلومات؛ وسابعها: أن علمهم يفسدون ويسفكون الدماء، إما أن يكون قد حصل بالوحي إليهم في ذلك أو قالوه استنباطا، والأول بعيد لأنه إذا أوحى الله تعالى ذلك إليهم لم يكن لإعادة ذلك الكلام فائدة فثبت أنهم قالوه عن الاستنباط والظن والقدح في الغير على سبيل الظن غير جائز لقوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم)؛ وثامنها: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الله سبحانه وتعالى قال للملائكة الذين كانوا جند إبليس في محاربة الجن (إني جاعل في الأرض خليفة) فقالت الملائكة مجيبين له سبحانه: (أتجعل فيها من يفسد فيها) ثم علموا غضب الله عليهم (فقالوا سبحانك لا علم لنا) وروي عن قتادة أن الله تعالى لما أخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء أن يخلق فلن يخلق خلقا إلا كنا أعظم منه وأكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلام وفضله عليهم (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) في أني لا أخلق خلقا إلا وأنتم أفضل منه، ففزع القوم عند ذلك إلى التوبة و(قالوا سبحانك لا علم لنا) ، وفي بعض الروايات أنهم لما قالوا أتجعل فيها، أرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم"[1]

ثم يشرع الرازي في الاجابة على هذه الشبهات واحدة تلو الاخرى نحن نكتفي بذكر جوابه عن الشبهة الأولى وهي إعتراضهم على الله تعالى فيقول" الجواب عن الشبهة الأولى أن نقول: أما الوجه الأول وهو قولهم أنهم اعترضوا على الله تعالى وهذا من أعظم الذنوب فنقول إنه ليس غرضهم من ذلك السؤال تنبيه الله على شيء كان غافلا عنه، فإن من اعتقد ذلك في الله فهو كافر، ولا الإنكار على الله تعالى في

1 . الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 167.

فعل فعله، بل المقصود من ذلك السؤال أمور: أحدها: أن الإنسان إذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رأى أن ذلك الغير يفعل فعلا لا يقف على وجه الحكمة فيه فيقول له أتفعل هذا؟! كأنه يتعجب من كمال حكمته وعلمه، ويقول إعطاء هذه النعم لمن يفسد من الأمور التي لا تهتدي العقول فيها إلى وجه الحكمة فإذا كنت تفعلها وأعلم أنك لا تفعلها إلا لوجه دقيق وسر غامض أنت مطلع عليه فما أعظم حكمتك وأجل علمك فالحاصل أن قوله: (أتجعل فيها من يفسد فيها) كأنه تعجب من كمال علم الله تعالى وإحاطة حكمته بما خفي على كل العقلاء. وثانيها: أن إيراد الإشكال طلبا للجواب غير محذور فكأنهم قالوا إلهنا أنت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة، ونحن نرى في العرف أن تمكين السفيه من السفه سفه، فإذا خلقت قوما يفسدون ويقتلون وأنت مع علمك أن حالهم كذلك خلقتهم ومكنتهم وما منعتهم عن ذلك فهذا يوهم السفه وأنت الحكيم المطلق فكيف يمكن الجمع بين الأمرين فكأن الملائكة أوردوا هذا السؤال طلبا للجواب، وهذا جواب المعتزلة قالوا: وهذا يدل على أن الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى وكانوا على مذهب أهل العدل قالوا والذي يؤكد هذا الجواب وجهان: أحدهما: أنهم أضافوا الفساد وسفك الدماء إلى المخلوقين لا إلى الخالق. والثاني :أنهم قالوا: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) لأن التسبيح تنزيه ذاته عن صفة الأجسام والتقديس تنزيه أفعاله عن صفة الذم ونعت السفه، وثالثها: أن الشرور وإن كانت حاصلة في تركيب هذا العالم السفلي إلا أنها من لوازم الخيرات الحاصلة فيه وخيراتها غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير فالملائكة ذكروا تلك الشرور، فأجابهم الله تعالى بقوله: (إني أعلم ما لا تعلمون) يعني أن الخيرات الحاصلة من أجل تراكيب العالم السفلي أكثر من الشرور الحاصلة فيها والحكمة تقتضي إيجاد ما هذا شأنه لا تركه وهذا جواب الحكماء. ورابعها: أن سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله تعالى فإن العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه. وخامسها: أن قول الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها) مسألة منهم أن يجعل الأرض أو بعضها لهم إن كان ذلك صلاحا فكأنهم قالوا: يا إلهنا اجعل الأرض لنا لا لهم وسادسها: أنهم طلبوا الحكمة التي لأجلها خلقهم مع هذا الفساد والقتل، وسابعها: قال

القفال يحتمل أن الله تعالى لما أخبرهم أنه يجعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها، أي ستفعل ذلك فهو إيجاب خرج مخرج الاستفهام ثم قالت الملائكة إنك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك ونقدس لما أنا نعلم أنك لا تفعل إلا الصواب والحكمة فلما قالوا ذلك قال الله تعالى لهم: (إني أعلم ما لا تعلمون)، كأنه قال والله أعلم نعم ما فعلتم حيث لم تجعلوا ذلك قادحا في حكمتي فإني أعلم ما لا تعلمون فأنتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل وما علمتم باطنهم وأنا أعلم ظاهرهم وباطنهم فأعلم من بواطنهم أسرارا خفية وحكما بالغة تقتضي خلقهم وإيجادهم"[1]

وقد ذكر صاحب تفسير الميزان روايتين عن الائمة تدل على عصمة الملائكة، بل وضعّف بعض الروايات التي تشير إلى أن الملائكة ينامون، يقول الطباطبائي" جاء عن الرضا عليهالسلام في هاروت وماروت في حديث: أن الملائكة معصومون محفوظون عن الكفر والقبائح بألطاف الله تعالى، قال الله تعالى فيهم {لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ} ... وفي نهج البلاغة قال (ع) في وصف الملائكة : ومسبحون لا يسأمون، ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان. أقول وبه يضعف ما في بعض الروايات أن الملائكة ينامون كما في كتاب كمال الدين بإسناده عن داود بن فرقد عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله : أنه سئل عن الملائكة أينامون؟ فقال: ما من حي إلا وهو ينام خلا الله وحده: فقلت : يقول الله عز وجل { يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ }؟ قال: أنفاسهم تسبيح،على أن الرواية ضعيفة"[2]

1 . الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 168.
2 . الطباطبائي، تفسير الميزان،ج14، ص281.

ثالثا: القران لغة واصطلاحا

المفهوم الاخر الذي يجب الإشارة إليه وتعريفه هو القرآن الكريم، ومع إنه واضح المعنى ولكن اصول البحث العلمي تقتضي تعريفه ايضًا.

1: القران لغة

عرّف اهل اللغة القران الكريم لغة بعدّة تعاريف، ولكن هناك ثلاثة اقوال رئيسية بخصوص اشتقاق لفظة القرآن، الاشتقاق الاول ماذهب إليه السيوطي في كتابه الإتقان حيث قال" القرآن من «ق – ر – ن» لأنه تقترن فيه مجموعة من الحروف والكلمات والآيات والسور، أو لأن كل آية فيه قرينة على صدق أخواتها من الآيات الأخر، أو لانه قرن في طياته كل ما كانت تحتويه الكتب السماوية السابقة.[1]

اما الاشتقاق الثاني فهو الذي أشار إليه الراغب في مفرداته، حيث يقول" القرآن من «ق – ر – أ» على صيغة فعلان بمعنى المقروء أو ما يُقرأ لانه كتاب انزل لتقرأه الناس أو من القرء بمعنى الجمع؛ لانه يحتوي على آيات وسور قد جمعت ودوّنت بين الدفتين"[2]

والاشتقاق الثالث هو الذي أشار إليه بعض المستشرقين حيث يقول صاحب كتاب الكلمات الدخيلة في القرآن" القرآن اسم معرّب من اصل سرياني وهو باللغة السريانية بمعنى قراءة كتب الأدعية والتراتيل الدينية، وقد دخل الى اللغة العربية، واستعمله القرآن الكريم في آياته والمسلمون تبعا لذلك لتسمية ما قد انزل الله على نبيه من آيات"[3]، ولهذا نرى ابن منظور يقول في لسان العرب" كلمة قرآن اسم علم غير مرتبط باشتقاقه اللغوي، وقد وضعه الله تبارك وتعالى لكتابه المنزل على نبيّه"[4]

1. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص144.
2. راغب الاصفهاني ، مفردات غريب القرآن، ص402.
3 . جيفري، الكلمات الدخيلة في القرآن، ص345.
4. را: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص129.

2: القران اصطلاحا

يعرّف القران الكريم في الاصطلاح الشرعي بانه كلام الله المعجزالموحى به الى النبي محمد (ص) بواسطة الملك جبرائيل (ع)، المقصود بأنَّه مُعجَز أي أنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليكون مُعجزةً مُؤيِّدةً للنبي (ص) وتمثَّل الإعجاز بما حواه القرآن الكريم من فصاحةٍ وبلاغةٍ، وإخبارٍ عن الغيب وقصصٍ للأمم السَّابقة[1]، وقد عرّفه الجرجاني في كتابه التعريفات بقوله "هو المنزل على الرسول في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة "[2]، وهذا ما اتفق عليه المسلمون كافة من كل المذاهب، ويعتبر هذا الإعتقاد من أهم ضروريات الدين الاسلامي.[3]

وللقران عدة أسماء منها:

الفرقان، الكتاب، الذكر، وهناك تسميات أخرى اختلف في كونها اسمًا للقرآن أم هي صفة له، منها: كلام الله، التنزيل، النور، الموعظة، وتبقى التسمية المختصة بكتاب الله هي (القرآن) وباقي التسميات هي أعمّ في معناها من القرآن الكريم.[4]

رابعا: الخليفة لغة واصطلاحا

كذلك مفهوم الخليفة الذي جاء في عنوان البحث يجب توضيحه لمعرفة المراد منه بشكل شفاف وواضح.

1: الخليفة لغة

لقد ذكر علماء اللغة تعاريف متقاربة لكلمة خليفة، فقد قال الراغب الاصفهاني في مفرداته في تعريفها لغة "الخلافة النيابة عن الغير، اما لغيبة المنوب عنه، واما لموته،

1 .انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1،ص270.
2. الجرجاني، التعريفات، ج1، ص55.
3. را: السيد ابوالقاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص158 – 159.
4 . مصطفى الخميني، تفسير القرآن الكريم، ج 1، ص7.

واما لعجزه، واما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله اولياءوه في الأرض"[1] والخليفة أو الخليف فعيل بمعنى فاعل، أو فعيل بمعنى مفعول[2]، والهاء للمبالغة كعلاَّم وعلاَّمة، ونسَّاب ونسَّابة، وهو قول الفراء، أو هي للنقل.[3]

وفي تعريف اخر لابن منظور يقول" الخليفة من يخلف غيره، ويقوم مقامه وبهذا المعنى ورد في القران الكريم {ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض}"[4]، وليس بالضروري للخلافة ان يكون المنوب عنه ميتا أو غير موجود.

2: الخليفة اصطلاحا

إصطلاح الخليفة جاء ذكره في القران الكريم ليعبر عن مفهوم غاية في السمو والرفعة، ومنها إصطفاء الله سبحانه وتعالى من ينوب عنه ويقوم مقامه في تحمل مسؤلية اعمار الأرض وتسخير مقدراتها وخيراتها، وقل بعضهم كلمة (خليفة) اصطلاحاً اصطلح عليه المسلمون بعد رسول الله (ص) [5]، وقد ورد هذا المصطلح في الشرع للدلالة على من يتبوأ منصب الخلافة في الإسلام، فهو اسم لمتولي أمر إدارة زمام وأمور المسلمين، لكونه يخلف النبي (ص) في أمته.

خامسا: الإنسان لغة واصطلاحا

والمفهوم الاخير الذي يجب تعريفه وبيانه وهو مفهوم الإنسان.

1: الإنسان لغة

أشار بعض اللغويين إلى معنى كلمة الإنسان، وقد وقع الخلاف في اشتقاقه بين اللّغويّن، فقيل إنّه من النّسيان ويجمع على أناسـيّ وأنـاس، قال ابن منظور" الإنسان

1 . الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، مادة خلف ص294 .
2 . الرملي، نهاية المحتاج، ج1، ص6.
3 . الزبيدي، تاج العروس،ج12، ص194.
4 . ابن منظور، لسان العرب، مادة خلف،ج2، 1240.
5 . الخطيب، الخلافة والإمامة، ص 242.

من أَنَسَ: الإنسان: آدم ويعني بالإنسان: آدم ويقال للمرأة إنسان، والجمع (يقع على المذكر والمؤنث): نـاس وأناسـيّ" [1]

وكذلك يقول ابن فارس في إشتقاق كلمة الإنسان " الإنسان من (أَنِسَ) الهمزة فمأخوذة من النّوس وهي الحركة، والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكلّ شيء خالف طريقـة التـوحّش"[2]

ويقول الفيومي في تعريفه" انتماءً إلى أبي الخلق آدم (ع) الذي بدأ خلقه من طين ثم تحوّل بـإرادة مـن الله إلـى صورته الوافية الحسنة، ذات التركيبة البشرية المتميزة التي تتسم بكل خصائص التكامل، أمّا الإنسان في حقيقة أصله ووجوده؛ فهو الكائن البشري الذي يعود أصله إلى التـراب، وجيء به مـن تـراب قال تعالى **{ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}**[3]

2: الإنسان اصطلاحا

اما بخصوص تعريف مفهوم الإنسان إصطلاحًا، فالإنسان يطلق على أفراد الجنس البشري، ومن أساليب القرآن أنه إذا كان المقام مقام التعبيرعن المفرد، يذكر الإنسان نحو **{ كل إنسان ألزمناه}** وإذا كان مقام التعبير عن الجمع، يذكر الناس، نحو**{ إن الله لذو فضل على الناس }** وأكثر ما أتى في القرآن باسم الإنسان عند ذمّ وشرّ.[4]

وقال الجرجاني في تعريفه" الإنسان هو الحيوان الناطق، هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون ... ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير"[5]

---

1 . ابن منظور، لسان العرب، مادة أنَس، ج 1، ص 230.
2 . ابن فارس، المقاييس في اللّغة،، مادة أنَس ج1، ص145.
3 . الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص30.
4 . انظر: أبي البقاء الحنفي، الكليات، ج1، ص200.
5 . الجرجاني، التعريفات، ص45.

ويرى العلماء أن الإنسان هو المعنى القائم بهذا البدن، ولا مدخل للبدن في مسماه، وليس المشار إليه بأنه هذا الهيكل المخصوص، بل الإنسانية المقومة لهذا الهيكل، فالإنسان إذن شيء مغاير لجملة أجزاء البدن، يقول الفارابي" إن الإنسان منقسم إلى سرٍ وعلن، أما علنه، فهو الجسم المحسوس بأعضائه وامتساحه، وقد وقف الحس على ظاهره، ودلّ التشريح على باطنه، وأما سرّه، فقوى روحه"[1]

1 . الفارابي، رسالة فصوص الحكم، ص30.

المبحث الثاني

معنى الاستفهام وانواعه في القران الكريم

في هذا المبحث سنتناول بيان أنواع الإستفهام الذي ذكره علماء اللغة وأشار إليه المفسّرون في تفاسيرهم عند الحديث عن الآيات التي جاء فيها الاستفهام، وهذا البحث كذلك من المباديء التصورية لموضوعنا وهو مهم لفهم حقيقة الاستفهام في القرآن الكريم وأهم أنواعه.

وينقسم الاستفهام الى نوعين: حقيقي ومجازي، وهنا سنشير إليهما بإختصار:

أولا: الاستفهام الحقيقي:

وهو الذي ورد على أصل معناه، وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول، وهو معنى من المعاني يطلب به المتكلم من السامع بانه يعلمه مالم يكن معلوما عنده من قبل وينقسم الى قسمين:[1]

1: **الاستفهام التصديقي**: وهو اثبات النسبة بين شيئين أو نفيهما بنعم أو لا؛ وادواته " أ " و"هل" كقوله تعالى **{ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ}**[2]

2: **الاستفهام التصوري:** وهو الذي يطلب به احد الشيئين وفي هذه الحالة يأتي احد هذين الشيئين بعد همزة الاستفهام مباشرة، ثم يأتي بعد حرف العطف " أم " وتسمى ام المعادلة وادواته أ- من- ما- ماذا- متى- ابان- اين- انّى

---

1 . سيبويه، كتاب سيبويه، ج1، ص477.

2 . سورة يونس: 77.

ثانيا: الاستفهام المجازي:

ويسمى ايضًا بالإستفهام البلاغي، وهذا النوع من الاستفهام لا يقصد به الاستفهام بعينه؛ وإنما يُراد منه قصد آخر غير الاستفهام؛ إذ إن الغرض منه هو غرض بلاغي وليس استفهاماً حقيقياً، وقد كان لمثل هذا النوع من الاستفهام حضور واسع في القرآن الكريم، وهو استفهام يكون المستفهم عن الشيء عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء منها التوبيخ أو التقرير أي أن يسمع الجواب من المسؤول عنه.[1] ويمكن ان يخرج الاستفهام المجازي من الأصل اللغوي الى معاني مجازيّة أخرى نشير هنا إلى بعضها ويمكن مراجعة كتب النحو لمعرفة المزيد منها:

1: التعجب أو التفخيم

والتعجب بمعناه الاصطلاحي هو: إستعظام امر ظاهر المزيّة، خافي السبب، واذا خرج من أسلوب النحو السماعي والقياسي الى الاستفهام، فانما يراد به المبالغة في اظهار التعجب، وذكر ابن فارس ان الاستفهام قد يكون ظاهره استفهاما وباطنه تعجبا، فيكون استخباراً في اللفظ والمعنى[2]، واما عن التفخيم فقد أشار ابو حيان إلى الجمع بينهما في قوله تعالى{ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ**}[3]، فيقول معناها: ما اشد واهول ما تستعجلون من العذاب.[4]

2: التوبيخ

والتوبيخ يفيد ان ما بعد الاستفهام واقع، وان من يقوم به يستحق التقريع والتوبيخ، وهذا المعنى ذكره النحاس في بيان قول الله تعالى{ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** } [5] قائلا "العرب تستفهم بالتوبيخ ولا تستفهم، بعد ان جمع بين التوبيخ

1 . الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 70.
2 . ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص292.
3 . سورة يونس: 50.
4 . أبو حيان، البحر المحيط، ج6،ص67.
5 . سورة الاحقاف: 20.

والتقرير.[1] فالاستفهام في قوله تعالى{ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ** } لم يكن استفهاما محضا، بل هواستخبار والمعنى توبيخ.[2]

3: التفجع

التفجّع كما يقول ابن منظور من فجع، والفجيعة هي الرزيّة الموجعة بما يكره، وفجعته المصيبة: أي اوجعته[3]، وغرض التفجع كما قال ابن فارس، هو بالنظر الى حال الكافرين، لا بالنظر الى حال المؤمنين؛ لان ثمة بونا شاسعا بين الحالتين، فالفئة الأولى ترى فيه نوع من الفاجعة أو الكارثة في كونه قادرا على إحصاء كل صغيرة وكبيرة، ولهذا كان غرض الاستفهام هو التفجع.[4]

4: الانكار

من خلال أستقراء الآايت القرآنية يمكن القول إن الانكار اكثر الأغراض البلاغية للاستفهام في القران، واوسعها تصرفا[5]، ويمكن أن يكون الاستفهام انكاريًّا في صورتين:

الصورة الإولى: الإنكار الإبطالي: وضابطه ان مابعد أداة الاستفهام غير واقع، ولا وجود له، وشاهده قوله تعالى { **أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ**} [6]، أي ان الله تعالى لم يصطف البنات على البنين، وهذا ردّ على دعوى المشركين ان الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك ،فهنا انكار مع نفي وقوع الفعل.

الصورة الثانية: الإنكار التوبيخي: وضابطه ان يكون ما يلي أداة استفهام واقعا، لكنه مستقبح، ومنه قوله تعالى وشاهده قوله تعالى { **أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ**}[7]،

---

1 . النحاس، معاني القرآن ،ج3،ص54.
2 . ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص292.
3 . ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص4.
4 . ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص293.
5 . عبد الحليم السيد، أساليب الاستفهام في القران الكريم، ص654.
6 . سورة الصافات :153.
7 . سورة الكهف :74.

والانكار التوبيخي واقع على القتل الذي وقع، ولكن المقصود استبشاع هذا الفعل، فيما يبدو لموسى (ع).[1]

5: التقرير

واحدة من الاساليب البلاغية للاستفهام في القرآن هو التقرير، ونعني به التحقق والتثبيت، واقرّه فيه وعليه، والاقرار الإذعان للحق، فالتقرير معناه حملك المخاطب على الإقرار، والاعتراف بإمر قد استقر عنده ثبوته او نفيه.[2]

فيظهر من خلال التعريف ان التقرير له معنيان: الأول التحقق والتثبيت بمعنى (قد) فيراد اثبات مضمون الجمله وافادة انه واقع، والثاني التقرير بمعنى طلب الاعتراف من المخاطب، وانتزاع الاعتراف بإمر قد استقر عنده، كقوله الله تعالى{ **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**}[3]، فهم يريدون ان يقرّ لهم بإن فعل كسرالاصنام وقع منه(ع)، أي انه هو الذي فعلها، والاّ لا شبهة لديهم بان فعل كسر الاصنام قد كان؛ لان الكسر مشاهد.

وهناك الكثير من المعاني التي قد يطول البحث عنها وهي ترتبط بموضوعنا بشكل غير مباشر وقد ذكرها علماء اللغة والبلاغة، ومنها التبكيت والاسترشاد والافهام والتكثير والنفي والتنبيه والتمني والتحقير والاستبعاد وغيرها فمن أراد المزيد فليراجع كتبهم.

---

1 . انظر: الجرجاني، دلائل الاعجلز،ص81-82.
2 . الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص 592-593 .
3 . سورة الانبياء:62.

المبحث الثالث

أسماء الإستفهام وأدواته في القرآن

في هذا المبحث وضمن المباديء التصوريّة للبحث سنتناول بالبحث أسماء الإستفهام وأدواته، وقد قسّم النحاة أدوات الاستفهام الى قسمين: أحرف وأسماء، وذكروا ان كل الكلمات التي تستعمل في الاستفهام فهي مبنيّة كلها فيما عدا كلمة واحدة وهي (أي)، فيما عدا (الهمزة-أم-هل) وهم حروف لامحل لهما من الاعراب[1]، وهنا نشير إليها بإختصار:

أولا: الاحرف

1: الهمزة

الاداة الاولى والمهمة للاستفهام هي الهمزة، وقد عدّها بعض اللغويين اصل أدوات الاستفهام وذلك لخصائص امتازت بها عن غيرها، فالهمزة تستعمل للاستفهام عن المفرد وعن الجملة في مجال الشك والترديد[2]، وبشكلٍ عام تكون الإجابة بتحديد أحد الشيئين، ويجب أن تأتي بعدها أم العاطفة مثل: أمحمدٌ فاز أم زيد؟ كما تستخدم الهمزة لطلب التصديق، والاستفهام عن حقيقة معينة، حيث تكون الإجابة بنعم أو لا، مثل: أقرأت كتاب البلاغة؟ ولها الصدارة في الجملة، لهذا تتقدم على حروف الجر، وحروف العطف، وهي تمتاز بخصائص لفظيّة ومعنويّة، ومن خصائص الهمزة:

أ: تختص الهمزة بجواز تقديم الاسم قبل الفعل؛ إذ ان جميع أدوات الاستفهام يجب ان يليها الفعل ولا يصح الاستفهام الا بذاك، واما الهمزة فتصح على الوجهين بعد الأسماء، والاصل غير ذلك، فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز، كما جاز ذلك في

1 . عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص59.
2 . انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص133.

(هلا)، وذلك لانها حرف الاستفهام الذي لايزول عنه الى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غير. [1]

ب: تمتاز الهمزة بانها تختص بطلب التصور والتصديق معا، وبهذا تنفرد عن بقية الادوات؛ لان (هل) تختص بطلب التصديق، نحو هل جاء عمرو؟ وبقية الأدوات تختص بطلب التصور مثل: من ضربك؟ وكم معك؟ وأين دارك؟ ومتى قدومك؟ وما صنعت؟ [2]

ويجابُ عنها (بنعم) إذا أردتَ إثبات ذلك، وبلا لنفيه، أمّا إذا كانَ الكلام منفياً فيجابُ بنعم لتصديقِ النَّفيِ وب(بلى) لإثباتِ الكلام، قال تعالى**{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}**[3] الجواب يكون: بلى. وتأتي بلى في جواب أمر خطير وعظيم كما كان جواب نبي الله ابراهيم (ع) في قوله تعالى**{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**[4]، وقد ذكر العلامة الطباطبائي حقيقة الاستفهام والجواب ببلى فيقول" بلى كلمة يرد به النفي ولذلك ينقلب به النفي إثباتا كقوله تعالى: **" ألست بربكم قالوا بلى "** ولو قالوا نعم لكان كفرا، والطمأنينة والاطمينان سكون النفس بعد انزعاجها واضطرابها...وقد قال تعالى: أو لم تؤمن، ولم يقل: ألم تؤمن للاشعار بأن للسؤال والطلب محلا لكنه لا ينبغي ان يقارن عدم الايمان بالاحياء: ولو قيل: ألم تؤمن دل على أن المتكلم تلقى السؤال منبعثا عن عدم الايمان، فكان عتابا وردعا عن مثل هذا السؤال، وذلك أن الواو للجميع، فكان الاستفهام معه استفهاما عن أن هذا السؤال هل يقارنه عدم الايمان، لا استفهاما عن وجه السؤال حتى ينتج عتابا وردعا. والايمان مطلق في كلامه تعالى، وفيه دلالة على أن الايمان بالله سبحانه لا يتحقق مع الشك في أمر الاحياء والبعث، ولا ينافي ذلك اختصاص المورد بالاحياء؛ لان المورد لا يوجب تخصيص عموم

---

1 . ابن هشام، مغني اللبيب،ج1، ص 41-42 .
2 . المصدر السابق.
3 . سورة التين:8.
4 . سورة البقرة: 260.

اللفظ ولا تقييد إطلاقه، وكذا قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام: ليطمئن قلبي، مطلق يدل على كون مطلوبه عليه السلام من هذا السؤال حصول الاطمينان المطلق وقطع منابت كل خطور قلبي واعراقه، فإن الوهم في إدراكاته الجزئية واحكامه لما كانت معتكفة على باب الحس وكان جلّ أحكامها وتصديقاتها في المدركات التي تتلقاها من طريق الحواس فهي تنقبض عن مطاوعة ما صدقه العقل، وإن كانت النفس مؤمنة موقنة به" [1]

ويقول صاحب تفسير الامثل" أن الآية تبين بوضوح هذه الحقيقة، وهي أن إبراهيم (ع) طلب من الله تعالى المشاهدة الحسية للمعاد والبعث لكي يطمئن قلبه، ولا شك أن ضرب المثل والتشبيه لا يجسد مشهدا ولا يكون مدعاة لتطمين الخاطر، وفي الحقيقة أن إبراهيم كان مؤمنا عقلا ومنطقا بالمعاد، ولكنه كان يريد أن يدرك ذلك عن طريق الحس أيضا... أنه طلب الرؤية والشهود عيانا لكيفية حصول البعث لا البعث نفسه... يفهم من هذه الآية أيضا على أن الاستدلالات العملية والمنطقية قد تؤدي إلى اليقين ولكنها لا تؤدي إلى اطمئنان القلب، إنها ترضي العقل لا القلب ولا العواطف. إن ما يستطيع أن يرضي الطرفين هو الشهود العيني والمشاهد الحسية"[2]

وقد جاء في الحديث عن الإمام الرضا (ع) أجاب به المأمون حينما سأل عن تفسير تلك الآيات فقال" إنّ الله تبارك وتعالى كان قد أوحى إلى إبراهيم عليه السلام :أنّي متخذ من عبادي خليلاً، إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنّه ذلك الخليل، فقال :**(رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** على الخلّة.[3]

3: إذا كانت همزة الإستفهام للتسوية تليها جملتان تفصل بينهما(أم) المعادلة المتصلة العاطفة ويصبح الأسلوب خبريّاً، وتسبق بكلمة سواء أو ما في معناها، وهي لم تستخدم

1 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج2، ص373.
2 . مكارم الشيرازي، تفسير الامثل، ج2، ص283.
3 . المجلسي، بحار الانوار، ج11، ص80.

في القرآن الكريم إلاّ في مورد الدعوة إلى الدين أو الصدود عنه.[1] كقوله تعالى{ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**}[2]، وقد تحذف كلمة سواء لانها مفهومة منسياق الجملة مثل قوله تعالى{ **وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**}[3]

وغيرها من الخصائص التي امتازت به الهمزة عمّا سواها من أدوات الاستفهام كدخولها على الشرط، وتجدر الإشارة إلى ان الهمزة ترد لمعان متعددة منها: الإقرار والانكار والتعجب والاستبطاء والتنبيه وغير ذلك.

2: أم

وهو حرف يستفهم به على أوجه عدّة

1: أم المتصلة، وتتقدمها همزة الاستفهام ويطلب بها التصور، لإتصال ما بعدها بما قبلها، فلايستغنى بأحدهما عن الاخر، وهي تكون معادلة لأداة الاستفهام "أيّ" مثل: أمحمد عندك أم علي؟ بمعنى أيّهما عندك؟

2: ام المنقطعة على معنى "بل"، والفرق بينها وبين "بل" ان مايقع بعدها ليس بيقين، وما يقع بعد "بل" يقين؛ وإنما تسمى منقطعة لإنقطاعها ممّا قبلها.[4]

وقد جاءت في القرآن الكريم على أنحاء وخصوصيات عدّة منها:

أ: مواقع [أم] المنقطعة في القرآن أكثر من مواقع [أم] المتصلة، إذ تتجاوز الضعف.
ب: جاءت [أم] المتصلة بعد همزة التسوية الواقعة بعد {سَوَاءٌ} في ست آيات، توسطت

1 . انظر: عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، ص10.
2 . سورة البقرة: 6.
3 . سورة الجن: 10.
4 . ابن يعيش، شرح المفصل،ج8، ص98.

جملتين فعليتين في خمس منها، وعادلت بين فعلية واسمية في قوله تعالى{سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ}[1]

ج: الجمل الفعلية التي جاءت بعد لفظة {سَوَاءٌ} كان فعلها ماضيا في القرآن

د: إذا ذكرت همزة التسوية بعد لفظة {سَوَاءٌ} فلا يجوز العطف إلاّ بأم فإن حذفت همزة التسوية جاز العطف بأو عند بعض النحويين. [2]

3: هل

وهي حرف أختصّ بالسؤال عن النسبة التامة، وهو الحرف الوحيد الذي أحتفظ بالاصل، ويطلب به التصديق الإيجابي دون التصور ودون التصديق السلبي[3]، ولا تدخل هل على جملة فيها (إنّ)؛ لانها اذا دخلت على جملة أفادت التوكيد، في حين إنّ أداة استفهام تكون لمعرفة ماهو مجهول، ومثل ذلك لاتدخل (هل) على جملة الشرط؛ لان جملة الشرط تقوم على جزئيين يتعلق بتحقق احدهما على الاخر، لذلك لايستفهم عنهما بهل، ولا يستفهم بها عن جملة فيها (قد) مع الفعل الماضي؛ لانه يكون مؤكد الوقوع مفروغا منه في حين يكون الاستفهام عن امر يجهله المتكلم، فلا يكون الاستفهام عن محقق الوقوع.[4]

وقبح أيضا دخولها على ما تقدم احد متعلقات الفعل عليه،مثل المفعول والجار والمجرور والظرف والحال؛ وذلك لان (هل) قد تختص بالاستفهام عن النسبة، وان تقدم حصل تركيب فيه شك بحصول النسبة أصلا، وذكر بعض العلماء ان (هل) تاتي أحيانا بمعنى (قد) وفي هذا قال سيبويه "هي بمنزلة قد"[5]

---

1 . سورة الاعراف: 193.
2 . محمد عبد الخالق عضيمة، درسات لاسلوب القران الكريم، ج1، ص386.
3 . الدسوقي، حاشية الدسوقي علىمختصر المعاني،ج2، ص256.
4 . ابن هشام، مغني اللبيب، ج1،ص41-42.
5 . منى حسين، الاستفهام في العربية دراسة تركيبية، ص12.

وقد وردت قرابة ثمانين مرة في القرآن الكريم، أكثرها مع الجملة الفعليّة، وتختص بما يلي:

1: تستعمل مع الاستفهام التصديقي فقط ، مثال ذلك: قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}**[1]

2: تدخل على الجملة المثبتة فقط ،مثال قولنا: هل قرأت المقالة؟

3: تسبق حروف العطف (هل) لأنها ليست من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام، مثال: قوله تعالى: **{فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}**[2]

4: إذا دخلت على الفعل المضارع صرفته للمستقبل، فلاي قال هل تدرس الان؟

ثانيا: الاسماء

القسم الثاني من أدوات الاستفهام هي الاسماء، وعددها عشرة، وهي تحتل مكانا إعرابيًّا كالمبتدأ والخبر والحال، وهذه الاسماء تحمل معاني خاصة من وصف أو زمان أو مكان، وهي التي يتوجه السؤال إليها، لذلك تختص هذه الاسماء للإستفهام عن التصور، أي المفرد.[3] ويمكن تقسيمها إلى ثلاث أقسام:

أ: ماتكون اسمًا غير ظرف وهي: من- ما- ماذا- كم- كيف.

ب: ماتكون اسمًا ظرفًا وهي: متى- أيّان- أين- أنّى.

ج: ماتكون ظرفًا وغير ظرف، وهي: أيّ؛ لأنها بحسب ما تضاف إليه، فإن كان المضاف إليه ظرفًا كانت ظرفًا، وإلاّ فلا.[4]

---

1 . سورة الصف:10.
2 . سورة الحاقة:8.
3 .التفتازاني، المطوّل، ص418.
4 . ابن جنّي، اللمع في العربية، ص52.

وهنا نشير إلى اسماء الإستفهام بشكل مختصر، ومن أراد التوسع فعليه بكتب النحو والبلاغة.

1: ما

هي أسم مبهم، يُستفهم بها عن كل ما لا يعقل من حيوان أو نبات أو جماد[1]، وكذلك يمكن ان يُستفهم بها عن صفات ما يُعقل، وقد يسال بها عن الجنس، وذلك ما يراه السكاكي في قوله " اما ما فللسؤال عن الجنس تقول ماعندك؟بمعنى أي اجناس الأشياء عندك ؟وجوابه انسان او فرس او كتاب او طعام، بمعنى أي اجناس الخطوب عندكم" [2] وهي من الأدوات التي قد تكون استفهامية أو شرطية أو موصولة أو زائدة أو غير ذلك، وما يعنينا هنا هو (ما) الاستفهامية، وهناك ثلاث مسائل يجب ان تذكر بايجاز:

المسالة الأولى: قد يسبق حرف جر، فتحذف الفها نطقا وكتابة نحو:علام، مم، الخ... نحو قوله تعالى **{عمّ يتسالون}**[3]

المساله الثانية: تدخل على الاسم والفعل، كقوله تعالى **{وما ادراك مالطارق}**[4]، وكقوله تعالى **{ما ادراك ما يوم الدين }**[5]

المسالة الثالثة: دخول "ذا" على "ما" تاتي ذا على ما في صورتين؛ الأولى على صورة اسم الاشارة: نحو، ماذا الكتاب؟ أي ماهذا الكتاب، والثانية على صورة اسم موصول نحو، ماذا اتى بك؟ أي، مالذي اتى بك؟[6]

2: من

---

1 . سيبويه، كتاب سبويه،ج4، ص288.
2 . السكاكي، مفتاح العلوم، ص149.
3 . سورة النبأ: 1.
4 . سورة الطارق:2
5 . سورة الانفطار:17.
6 . سيبويه، كتاب سبويه،ج4، ص289.

ترد (من) على أوجه متعددة، ويستفهم بها عن المعرفة وعن النكرة وهي اسم للاستفهام عن العاقل فقط نحو قوله تعالى **{ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا }**[1]، ويقول السكاكي (من) سؤال عن الجنس من ذوي العلم نحو قولك، من جبرئيل؟ بمعنى أبشر أم ملك أم جني، ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون**{فمن ربكما يا موسى}**[2]، أراد من مالككما ومدبر امركما؟ أملك هو أو جني أو بشر؟ منكرا ان يكون لهما إله سواه.[3]

ومن الجائز ان تضاف لمن ذا (من ذا)، وفي تفسيرهما خلاف بين النحاة، فمنهم من عدّ (من ذا) اسما واحدا ومنهم من جعل (من) استفهامية (وذا) اسما موصولا أو زائدا، وقد يثنى (من) ويجمع ويعرب بالحروف شانه شان المثنى وجمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم، فعندما نقول جاء الرجلان، يكون السؤال منان؟ واذا قلت رأيت الرجلين فتقول منين؟ وفي جاء الرجال، ترد منون؟واما في رايت نساء؟ فتقول: منات؟ واما في حال افراده فمن اسم مبني بملازمته السكون وتعرب حسب موقعها من الجملة، فقد تكون في محل رفع أو نصب أو جر.[4]

وقد وردت (من) للاستفهام قرابة ثمانين مرة في القرآن الكريم، أغلبها للنوع، وأكثرها لإثبات ظلم الكافرين عن طريق الإستفهام المشرّب بالنفي[5]، كقوله تعالى**{ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}**[6]، وقوله تعالى**{ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا}**[7]

3: اين

---

1 . سورة يس:52.
2 . سورة طه، 49.
3 . السكاكي، مفتاح العلوم، ص115.
4 . الزمخشري، المفصل في علم العربية،ص179.
5 . انظر: عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، ص11.
6 . سورة التوبة: 111.
7 . سورة مريم:75.

اين اسم استفهام دال على الظرف يستفهم به عن المكان نحو اين ذهبت البارحة؟ وتكون الإجابة عادة ظرفًا أو جارا ومجرورا، يقول ابن فارس، اين تكون استفهاما عن مكانٍ، نحو: اين زيد؟ وتكون شرطا لمكان، نحو اين لقيت زيدا فكلّمه؟ بمعنى أيّ مكان، وأين مبنيّة على الفتح، وذلك لاستثقال الضم والكسر بعد الياء، وتعرب ظرف مكان دائما.[1]

وقد وردت أين الاستفهامية عشر مرات في القرآن الكريم كقوله تعالى{ **يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ**}[2]، وكلها تعطي معنى المكان.

4: متى

اسم من أسماء الظروف لا يستفهم به الا عن الزمن ولا يجاب الا بالزمن، قال سيبويه " متى: أيّ حين"[3] وذلك نحو متى اتيت ومتى ستغادر؟ وتكون الاجابة اليوم، فمتى للسؤال عن زمان مبهم يتضمن جميع الأزمنة، فاذا قيل:متى الخروج؟ تقول:اليوم أو الساعة، والمراد بها الاختصار، وذلك لو انك سألت إنسانا عن زمن خروجه اليوم تخرج أم غدا أم الساعة؟ والازمنة اكثر من ان يحاط بها، فاذا قلت متى اغنى عن ذلك كله، ومتى اسم استفهام مبني على السكون في محل ظرف زمان دائما.[4]

ولا يجاب عن "متى" بالنكرة، فإن قيل: متى لقيت زيدا؟ فقلت شهرا لم يجز؛ لأن اللقاء لا يكون إلاّ في بعض الشهر، وإنما قال لك متى؟ لتوقّت له، وذلك ان الزمان ينقسم إلى اربعة اقسام:

1: مختص معدود، كرمضان، والصيف، فيقع جوابا لـ (كم) و(متى).

2: غيرمعدود وغيرمختص، كحين، ووقت، فلا يقع جوابا لواحد منهما.

---

1 . ابن فارس، مقاييس اللغة، ص142.
2 . سورة القيامة: 10.
3 . سيبويه، كتاب سيبويه،ج4، ص233.
4 . ابن يعيش، شرح المفصل، ج4، ص 104.

3: معدود غيرمختص، كيومين، وشهر، فيقع جوابا لـ (كم) فقط.

4: مختص غيرمعدود، كيوم الجمعة، وشهررمضان، فيقع جوابا لـ (متى) فقط.

والخلاصة: يشترط في الزمان الذي يقع جوابا لـ (متى) ان يكون مختصّا معدودا كان أو غير معدود.[1]

وقد وردت تسع مرات في القران الكريم يستفهم فيها عن الزمان عموماً، كقوله تعالى **{حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ}**[2]

5: أيّان

أيّان للسؤال عن الزمان أيضا، وهي بمعنى متى، يقول ابن فارس عنها " أيّان بمعنى متى وأيّ حين، قال بعض العلماء نرى ان اصلها مركب من(أي) و(أوان) فحذفت الهمزة وجعلت الكلمتان كلمة واحدة، وأيّان تدل أيضا على التفخيم كما هو واضح في الاية أعلاه وتعرب ايان ظرف زمان دائما للدلالة على المستقبل.[3]

وتختلف أيّأن عن متى مع إتحادهما في المعنى في أمور منها: ان متى أكثر أستعمالا من أيّان في الزمان، وأن متى تستعمل في كل استفهام زمان، ولكن أيّان تستعمل في الامور العظيمة المفخّمة، قال تعالى**{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}**[4]، وأيضًا فإن متى تستعمل للشرط والإستفهام، اما أيّان فلا تستعمل الاّ للإستفهام، ومتى يُستفهم بها عن الماضي والمستقبل، اما أيّان فلا يُستفهم بها إلا عن المستقبل.[5]

6: كيف

1 . انظر: اطروحة الدكتوراه للطالب محمد ابراهيم، أساليب الاستفهام في البحث البلاغي، ص35.
2 . سورة البقرة:214.
3 . ابن فارس، مقاييس اللغة، ص143.
4 . سورة النازعات: 42.
5 .السيوطي، الاشباه والنظائر في النحو، ج4، ص119.

هي اسم يُستفهم به عن حال الشيء وهيئته، قال بعض اهل اللغة لها ثلاثة أوجه: احدها سؤال محض عن حال، تقول: كيف حال زيد؟؛ والوجه الاخر حال لا سؤال معه، كقولك: لاكرمنّك كيف كنت، أي:على أي حال كنت؟؛ والوجه الثالث:كيف بمعنى التعجب، وقد تكون كيف بمعنى النفي ومنه قوله تعالى:{ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ** }[1]، وتكون توبيخا كقوله جل ثناؤه:{ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**}[2]، وكيف تختلف عن سواها من أدوات الاستفهام ، بان جوابها لا يكون الاّ نكرة، وجواب اخواتها يكون معرفة ونكرة، فاذا قلت:كيف زيد؟ فيقال:صالح أو سقيم، ولا يقال:الصالح.[3]

7: أنّى

هي اسم للأستفهام يُسأل بها عن المكان كأين، كقوله تعالى{ **قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا**}[4] وقد تكون بمعنى كيف، كقوله جل ثناؤه { **أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** }[5]، وتكون بمعنى من اين؟ كقوله تعالى { **أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ**}[6]،أي: من اين يكون له ولد.

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى{**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**} [7]، المراد هنا من اين شئتم أو كيف شئتم.[8]

8: كم

---

1 . سورة التوبة:7.
2 . سورة أل عمران:101.
3 . الاسترآبادي، شرح الكافية في النحو،ج2، ص117.
4 . سورة مريم:37.
5 . سورة البقرة:259.
6 . سورة الانعام:101.
7 . سورة البقرة: 223.
8 . الآلوسي، تفسير روح المعاني،ج2، ص124.

هي اسم مبهم يُستفهم بها عن العدد، وهي خبرية واستفهامية، فالاستفهامية يسال بها عن العدد فتقول: كم درهما تملك؟ فتجيب:عشرة دراهم، اما الخبرية فتستخدم غالبا للدلالة على التكثير، نحو: كم بلد زرت، أي كم من بلد زرت، ولقد ذكر ابن هشام ما اتفقا فيه واختلفا ويشتركان في خمسة أمور هي: الاسمية والابهام والافتقار الى التمييز ولزوم التصدير، واما ما اختلفا فيه:احدها ان الكلام مع الخبرية محتمل التصديق والتكذيب، بخلافه مع الاستفهامية، الثاني المتكلم بالخبرية لايستدعي من مخاطبه جوابا، والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه لانه مستخبر،الثالث ان الاسم بالخبرية لايقترن بالهمزة، بخلاف المبدل من الاستفهامية، يقال في الخبرية كم عبيد لي خمسون بل ستون، وفي الاستفهامية كم مالك اعشرون ام ثلاثون؟ الرابع ان تمييز كم الخبرية مفرد أو مجموع، تقول كم عبد لي؟ وكم عبيد ملكت؟ ولا يكون تمييز الاستفهامية الا مفردا.[1]

9: أي

تستعمل أي في الاستفهام للتمييز بين احد المتمايزين في امر يشملهما، وذلك مثل قوله تعالى**{ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا}**[2]، ويستفهم بها عن العاقل وعن غير العاقل، وهي تجري مجرى **"مَن"** الاستفهامية، فتقول: أي القوم افضل؟ كما يقال: من افضل القوم.[3]

ومن خصائص أي الاستفهامية أيضا ان ماقبلها لايعمل فيها، ويعمل فيها ما بعدها، ولايقع قبل أي في الاستفهام من الأفعال الا أفعال الشك واليقين، نحو ظن وعلمت وما اشبههما مما يجوز الغاؤه، فتقول: علمت أيهم في الدار، ولو قلت: ضربت ايهم في الدار لم يجز، واسم الاستفهام (أي) يثنى ويجمع، وفي هذه الحال فاننا نلحق ما ثني

---

1 . ابن هشام، مغني اللبيب، ص184.

2 . سورة مريم: 73.

3 . المبرد، المقتضب،ج1، ص570.

منه بالمثنى، ونلحق ما جمع منه بجمع المذكر السالم، واسم الاستفهام (أي) معرب، ويعرب حسب موقعه من الجملة.[1]

10: ماذا

هي اسم مركب من كلمتين (ما) و(ذا)، وماذا "تختلف عن "ما"؛ إذ لا يتساوى: "ماذا قرأت؟" و"ما قرأت؟"، فالسؤالان لا يطلبان إجابة واحدة؛ إذ السؤال بـ"ماذا" أي: ما الذي؟ يطلب شيئا محددا معرفا. فتقول: قرأت كتاب النحو، أو قرأت الكتاب الذي اشتريته أمس. أما السؤال بـ"ما" وحدها فالأغلب أنها تطلب نكرة؛ ولذلك لا تستعمل "ماذا" مع اسم مفرد خبرا مقدما، فلا تقول ماذا زيد؟ ماذا هذا؟ بل تقول:ما زيد؟ ماهذا؟ والإجابة: زيد طبيب، هذا كتاب.[2]

وهي أيضا يُستفهم بها عن غير العاقل، قال الله تعالى في كتابه الحكيم **{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ}**[3]

1 . انظر: الزمخشري، المفصل في علم العربية،ص109.
2 . سيبويه، كتاب سيبويه، ج2، ص417.
3 . سورة البقرة: 219.

الفصل الثاني

أسلوب الاستفهام في القران الكريم

واغراضه

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: أسلوب الاستفهام في القران الكريم

المبحث الثاني : أغراض الاستفهام في القران الكريم

المبحث الأول

أسلوب الاستفهام في القران الكريم

تمهيد

من أكثر الأساليب التي تكررت في كتاب الله أسلوب الاستفهام، وفي إحصائية لآيات القرآن الكريم نجد هناك ما يزيد عن مائتين وألف سؤال وأستفهام مذكورة في القرآن الكريم أغلبها أسئلة يسألها الله سبحانه وتعالى لخلقه.

والأصل في أسلوب الاستفهام في كلام العرب وكما ذكرنا في تعريفه في الفصل الاول أنه يستعمل للاستفهام عن أمر يجهله السائل، هذا من حيث الأصل، ولكن مما لا شك فيه فأنه بهذا المعنى - طلب العلم أو الفهم- يستحيل في حق الله سبحانه وتعالى؛ لانه يعني جهله تعالى، وهذا محال عقلا ونقلا، لكن قد يستعمل الاستفهام على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، والسؤال هنا بلا شك لا يراد منه حقيقة الاستفهام، بل المراد منه لفت النظر لسابق التنبيه واللوم على الوقوع فيه رغم ذلك التحذير المتكرر، ويتجلى هذا النوع من الإستفهام في السياق القرآني بشكل واضح وأسلوب يتميز به القرآن ينبغي الانتباه له وفهم مقاصده بشكل تفصيلي لإدراك الرسالة القرآنية بهذا الخصوص.

قال السيوطي "ما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً، وقد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعاني"[1] ومن خلال مطالعة وآستقراء الآيات القرآنية نرى إن الاستفهام ورد في الكتاب الكريم على قسمان، وهما:

---

1 . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2،ص212.

الاول: أساليب حكاها القرآن عن البشر

وهي بدورها تنقسم إلى نوعين:

1: الاسلوب الحقيقي

وهو الاسلوب الاستفهامي الذي حكاه القرآن الكريم في محاورات البشر فيما بينهم ولا سيما الأنبياء مع أممهم، هي كثيرة نكتفي بذكر واحد لها، وهي قصة موسى(ع) مع قومه في قصة ذبح البقرة والتي حكاها الله تعالى بشكل مفصل تقريبا في سورة البقرة، قال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ... قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ... قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ}**[1]، والسؤال هنا أي الاستفهام الحقيقي والذي يستبطن الاجابة هو وسيلة لإزالة الجهل والإبهام، لكنه مثل بقية الأمور إن تجاوز حده وجاء في غير موضعه فإنه يدل على الانحراف ويؤدي إلى أضرار، ومن ذلك ما نراه في هذه القصة.[2]

يقول صاحب تفسير الميزان في تفسيره للآية" هذه قصة بقرة بني إسرائيل، وبها سميت السورة سورة البقرة، والأمر في بيان القرآن لهذه القصة عجيب فإن القصة فصل بعضها عن بعض حيث قال تعالى: «**وإذ قال موسى لقومه إلى آخره**» ثم قال: «وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها» ثم إنه أخرج فصلا منها من وسطها و قدم أولا ووضع صدر القصة و ذيلها ثانيا، ثم إن الكلام كان مع بني إسرائيل في الآيات السابقة بنحو الخطاب فانتقل بالالتفات إلى الغيبة حيث قال: وإذ قال موسى لقومه ثم التفت إلى الخطاب ثانيا بقوله: وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها... والآيتان في سلك الخطابات السابقة فهذه الآيات الخمس من قوله: وإذ قال موسى إلى قوله: وما كادوا يفعلون، كالمعترضة

---

1 . سورة البقرة: 67 : 70.

2 . الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1،ص267.

في الكلام تبين معنى الخطاب التالي مع ما فيها من الدلالة على سوء أدبهم و إيذائهم لرسولهم، برميه بفضول القول ولغو الكلام، مع ما فيه من تعنتهم و تشديدهم وإصرارهم في الاستيضاح والاستفهام المستلزم لنسبة الإبهام إلى الأوامر الإلهية وبيانات الأنبياء، مع ما في كلامهم من شوب الإهانة، والاستخفاف الظاهر بمقام الربوبية"[1]

2:الاسلوب البلاغي

وهو النوع الثاني من أساليب حكاها القرآن عن البشر، ومن الامثلة على هذا النوع قول الله تعالى**{ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ}**[2]، يقول الآلوسي" أي الفرار يأسا منه وجوز إبقاؤه على حقيقة الاستفهام لدهشته وتحيره"[3]

ويقول صاحب تفسير الأمثل" في هذه الاية وماقبلها أشار هنا إلى ظاهرتين من أهم الظواهر الانقلابية لأواخر الدنيا، أي إلى زوال نور القمر واجتماع الشمس والقمر مع البعض، وهو ما أشير إليه في الآيات القرآنية الأخرى أيضا، وبهذه الطريقة والتحول العظيم ينتهي العالم، ثم يبدأ بعث البشرية بتحول عظيم آخر (بنفخة الصور الثانية والتي تعتبر نفخة الحياة) فيقول الإنسان في ذلك اليوم: يقول الإنسان يومئذ أين المفر؟ فالكفرة والمذنبون الذين كذبوا بيوم الدين يبحثون عن ملجأ في ذلك اليوم لشدة خجلهم، ويطلبون سبل الفرار لثقل خطاياهم وخوفهم من العذاب، كما كانوا يبحثون عن طريق الفرار في الدنيا عندما كانوا يواجهون حادثة خطيرة" [4]

كذلك يؤكد القرطبي وجود إحتمالات في هذا الإستفهام البلاغي، فيقول " يحتمل وجهين: أحدهما: أين المفر من الله استحياء منه، الثاني: أين المفر من جهنم حذرا منها، ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين: أحدهما: أن يكون من الكافر خاصة في

1 . الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص199.
2 . سورة القيامة: 10.
3 . الآلوسي، تفسير روح المعاني، ج29، ص139.
4 . مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج19، ص211.

عرضة القيامة دون المؤمن؛ لثقة المؤمن ببشرى ربه. الثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها"[1]

ومثال أخر على الاسلوب البلاغي قوله جل اسمه **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**[2]، فالذين كفروا، قوم ثبتوا على الكفر وتمكن الجحود من قلوبهم، ويدل عليه وصف حالهم بمساواة الإنذار وعدمه فيهم، يقول الطبري" قوله تعالى {أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} فإنّه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام وهو خبرٌ؛ لأنّه وقع موقع أيّ، كما تقول: لا نبالي أقمت أم قعدت، وأنت مخبرٌ لا مستفهمٌ لوقوع ذلك موقع أيّ، وذلك أنّ معناه إذا قلت ذلك: ما نبالي أيّ هذين كان منك، فكذلك ذلك في قوله: {سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم} لمّا كان معنى الكلام: سواءٌ عليهم أيّ هذين كان منك إليهم، حسن في موضعه مع سواءٍ: أفعلت أم لم تفعل"[3]

ثانيا: اسلوب الاستفهام في مخاطبة الله تعالى للبشر

وهناك أسلوب أخر للإستفهام أستعمله القرآن الكريم في موارد عدّة وهو اسلوب الاستفهام في مخاطبة الله تعالى للبشر، وهوعلى سبيل المجاز، والمراد من هذا الاسلوب في الاستفهام لفت النظر لأمور كثيرة، كالتنبيه واللوم والتحذير وغيرها، ويكثر هذا النوع من الإستفهام في الآيات القرآنية بشكل واضح وأسلوب يتميز به القرآن، وقد استخدم القرآن الكريم أساليب كثيرة للاستفهام على سبيل المجاز لايمكن حصرها والبحث عنها بشكل مفصّل لانه غير متيّسر في هكذا بحث، ولكن نشير لبعضها بشكل مختصر:

أولا: الاستفهام بمعنى التعجب

---

1 . القرطبي، تفسير القرطبي، ج19، ص89.
2 . سورة البقرة: 6.
3 . الطبري، جامع البيان،ج1، ص263.

أحيانا يأتي الاستفهام القرآني ويقصد به التعجب من فعل معين كقوله تعالى: **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّـهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ}**[1]، يقول بعض المفسرين" كيف في اللغة للسؤال عن الحال. والحق سبحانه وتعالى أوردها في هذه الآية الكريمة ليس بغرض الاستفهام، ولكن لطلب تفسير أمر عجيب ما كان يجب أن يحدث. وبعد كل ما رواه الحق سبحانه وتعالى في آيات سابقة من أدلة دامغة عن خلق السماوات والأرض وخلق الناس .. أدلة لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يخطئها... فكيف بعد هذه الأدلة الواضحة تكفرون بالله؟ كفركم لا حجة لكم فيه ولا منطق... والسؤال يكون مرة للتوبيخ، كأن تقول لرجل كيف تسب أباك؟ أو للتعجب من شيء قد فعله وما كان يجب أن يفعله، وكلاهما متلاقيان. سواء كان القصد التوبيخ أو التعجب فالقصد واحد، فهذا ما كان يجب أن يصح منك، ثم يأتي الحق سبحانه وتعالى بأدلة أخرى لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يكذب بها، فيقول جل جلاله: **"وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم"**[2]

ثانيا: الاستفهام بمعنى العتاب واللوم

وأحيانا يأتي الاستفهام ويراد به العتاب واللوم كقوله تعالى: **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّـهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}**[3]، يقول الطباطبائي" وفي الآية عتاب للمؤمنين على ما عرض لقلوبهم من القسوة وعدم خشوعها لذكر الله والحق النازل من عنده تعالى وتشبيه لحالهم بحال أهل الكتاب الذين نزل عليهم الكتاب وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم"[4] وقد فهم الصحابة هذا المراد فقال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين... والعتاب مخاطبة

1. سورة البقرة : 28.
2 . الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج1، ص223.
3 . سورة الحديد : 16
4 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج19، ص161.

الإدلال ومذاكرة الموجدة، تقول عاتبته معاتبة... وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن"[1]

ثالثا: الاستفهام بمعنى التقرير

أو قد يراد بالاستفهام حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر ما، كقوله تعالى: **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}**[2]، أي: أنا ربكم. ومنه قوله سبحانه: **{أَلَيْسَ اللَّـهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}** [3]، أي: الله كاف جميع عباده، فليس المراد في الآيتين حقيقة السؤال، وإنما حمل العباد على الإقرار بربوبية الخالق، وكفايته لخلقه والمراد بالذين من دونه آلهتهم من دون الله على ما يستفاد من السياق، والمعنى هو يكفيهم"[4]، يقول الآلوسي في تفسيره للآية الثانية **{أَلَيْسَ اللَّـهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}** "إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها"[5]

رابعا: الاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ

ومن ضمن مقاصد الاستفهام القرآني أيضا التحقير كقوله تعالى: **{أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ}** [6]، وهذا استفهام إنكار وتوبيخ أيضا (قل هاتوا برهانكم) أي: قل لهم يا محمد: هاتوا حجتكم على صحة ما فعلتموه، لأنهم لا يقدرون على ذلك أبدا. وفي هذا دلالة على فساد التقليد؛ لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم.[7]

الملاحظ أن جُل هذه الأسئلة القرآنية لم ترد إجاباتها بين دفتي المصحف، فالحقيقة أنها رغم عدم كونها أسئلة طلب علم كما سبق وبينا إلا أن ربّ العالمين يريد لعباده

---

1. القرطبي، تفسير القرطبي، ج19، ص539.
2. سورة الأعراف : 172.
3. سورة الزمر : 36.
4 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج17، ص261.
5 . الآلوسي، تفسير روح المعاني،ج24، ص5.
6. سورة الأنبياء .اية 21
7 . الطبرسي، مجمع البيان،ج7، ص80.

أن يجيبوها ويتفاعلوا معها كما رأينا في كثير من النماذج السابقة التي اشتركت في أمر اخر وهو إحساس أصحابها بأنهم مخاطبون بتلك الأسئلة، وأن رب العالمين يسألهم هم، يستبطئهم هم.. يعاتبهم هم.. ينهاهم هم.. يذكرُّهم هم.. من هنا شعروا أن عليهم أن يجيبوا.

وهذا النوع من الإستفهام كثير في آيات القرآن الكريم ولولا مخالفة الإطالة لبحثناه بشكل تفصيلي.

الفصل الثاني: اسلوب الاستفهام في القرآن الكريم واغراضه.....56

المبحث الثاني

أغراض الاستفهام في القران الكريم

لقد بيّنا في المبحث السابق تقسيمات أساليب الاستفهام، وذكرنا إن الاستفهام العام نوعان: استفهام حقيقي واستفهام مجازي، واشرنا إلى ان بِنْيَة الاستفهام تتشكَّل من علاقة نحوية، تجمع بين أطراف الأسلوب، أي: بين السؤال والجواب، فالجواب يتضمَّن عادة نواة الإخبار المتصلة بالسؤال، والاستفهام – بوصفه أسلوبًا حواريًّا – يَستدعي أطرافًا عِدَّة، وهي الملفوظ ومعناه، والمتكلم والسامع وهذا جانب شكلي، فلا استفهام دون وجود ألفاظ، ولا ألفاظ دون متكلم، والمتكلم المستفهِم يَستلزم وجود سامع لها.[1]

وبالنظر إلى آيات القرآن الكريم، نجد أن القرآن يكون في أحد موقعين؛ إما سائلًا أو مسؤولًا؛ وهذا دالٌّ على طبيعة الحوار الذي كان ينتهجه الله تعالى مع الناس، فهو ليس في موضعِ السائل أو المسؤول دائمًا، وإنما في حالة حوارية مستمرة، والاستفهام كما أشرت يأتي في طلب الافهام، ولكن لكون الله سبحانه وتعالى عالم كل شيء، فلا يستفهم خلقَه عن شيء، وإنما يستفهمهم لأغراض كثيرة، وهنا في هذا المبحث سأتعرض إلى أغراض الإستفهام في القرآن الكريم بشكل مختصر، وهي كثيرة نشير إلى أهمها:

1.الاستفهام الإنكاري:

وهو من الاغراض المهمة والمستعملة كثيرا في الاستفهام في القرآني، ونعني به الإنكار على المخاطب المستفهم عنه، ويجب في الإستفهام الإنكاري أن يقع المنكر

---

1 . المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين النظرية والتطبيق، ص23.

بعد همزة الإستفهام وقد يكون المنكر هو(الفعل) كقوله تعالى{ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**}[1]، فالمنكر هو نفس الفعل، أي اتخاذ الأصنام ألهة. وقد يكون المنكر هو(الفاعل) في المعنى، كقوله تعالى { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ}[2]، أي ينكر عليهم أن يكونوا هم المتخيرين للنبوّة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو سبحانه، فهو إنكار عليهم قولهم **{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}** فإنهم لما نصبوا أنفسهم منصب من يتخير أصناف الناس للرسالة عن الله ، فقد جعلوا لأنفسهم ذلك لا لله، فكان من مقتضى قولهم أن الاصطفاء للرسالة بيدهم، فلذلك قدم ضمير(هم) المجعول مسندا إليه ، على مسند فعلي ليفيد معنى الاختصاص فسلط الإنكار على هذا الحصر إبطالا لقولهم وتخطئة لهم في تحكمهم.[3] وقد يكون المنكر (المفعول) نحو قوله تعالى { **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا**} [4]، يقول البغوي في تفسير الآية" وهذا حين دعا إلى دين آبائه ، فقال تعالى: قل يا محمد أغير الله أتخذ وليا ربًّا ومعبودًا وناصرًا ومعينًا؟[5]

ويقول الاندلسي" لما تقدم أنه تعالى اخترع السماوات والأرض، وأنه مالك لما تضمنه المكان والزمان، أمر تعالى نبيه أن يقول لهم ذلك على سبيل التوبيخ لهم؛ أي من هذه صفاته هو الذي يتخذ وليا وناصرا ومعينا، لا الآلهة التي لكم، إذ هي لا تنفع ولا تضر؛ لأنها بين جماد أو حيوان مقهور، ودخلت همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل؛ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليًّا، لا في اتخاذ الولي، كقولك لمن ضرب زيدا، وهو ممن لا يستحق الضرب، بل يستحق الإكرام، أزيدا ضربت، تنكر عليه أن يكون مثل هذا يضرب"[6]

---

1 . سورة الانعام :74.
2 . سورة الزخرف: 32.
3 . ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج26، ص200.
4 . سورة الانعام: 14.
5 . البغوي، تفسير البغوي، ج3، ص132.
6 . الاندلسي، البحر المحيط، ج4، ص85.

والإستفهام الإنكاري يكون على أوجه، فهو إما إنكار للتوبيخ على أمر وقع في الماضي، بمعنى ما كان ينبغي أن يكون ذلك لأمر الذي كان، نحو قولك لمن صدر منه عصيان: أعصيت ربك؟ وإما إنكار للتوبيخ على أمر واقع في الحال أو يخاف وقوعه في المستقبل، والمعنى على هذا يكون (لا ينبغي أن يكون هذا الأمر) نحو: أتعصي ربك؟ تقول هذا لمن هو واقع في المنكر، أو لمن يريد أن يقع فيه، ويسمى الإنكار في الحالتين السابقتين الإنكار التوبيخي، ومنه قوله تعالى على لسان موسى يخاطب أخاه هارون{ **أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي}** [1]، فقد كان موسى (ع) يتحدث بهذا الكلام مع أخيه وهو في فورة وسورة من الغضب، وكان يصرخ في وجهه، وقد أخذ برأسه ولحيته يجره إليه يريد إنكاره وتوبيخه على سكوته، فلما رأى هارون غضب أخيه الشديد قال له - من أجل تهدأته وليقلل من فورته - ليبين عذره وحجته في هذه الحادثة ضمنا، قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي.[2]

وإما إنكار للتكذيب في الماضي، بمعنى (لم يكن)، أي أن المخاطب إن ادعى وقوع شيء فيما مضى، أو نزل منزلة المدعي أتى بالإستفهام الإنكاري تكذيبا له في دعواه، نحو قوله تعالى لمن اعتقدوا أن الملائكة بنات الله { **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا}**[3]، والمعنى إذا كان سبحانه ربّكم لا ربّ غيره وهو الذي يتولى أمر كل شئ فهل تقولون انه آثركم بكرامة لم يتكرم به هو نفسه؟ وهو انه خصكم بالبنين ولم يتخذ لنفسه من الولد الا الإناث وهم الملائكة الكرام الذين تزعمون أنهم إناث انكم لتقولون قولا عظيما من حيث استتباعه التبعة السيئة.[4]

وإما إنكار للتكذيب في الحال أو المستقبل، بمعنى (لا يكون) نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام عندما دعا قومه للتوحيد فكذبوه { **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ**

---

1 . سورة طه: 93.

2 . مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج10، ص64.

3 . سورة الاسراء : 40.

4 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 13، ص105.

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}[1]، أي أنلزمكم تلك الحجة البينة على أني رسول الله؟ أي أنكرهكم على قبولها، والحال أنكم لها كارهون، يعني لايكون هذا الإلزام، فالإنكار في هذين الحالين إنكار لأمر كاذب، ولذلك يسمى في الحالتين الإنكار التكذيبي، فهو إنكار تكذيب في المستقبل.[2]

يقول صاحب تفسير الأمثل" قد اختلف المفسّرون في جواب نوح(ع) هذا ولهم في ذلك أقوال.. ولكن مع التدبر في الآية يتّضح أنّ هذا الجواب يمكن أن يكون جواباً للإشكالات التي طرحها عليه المعاندون من قومه؛ لأنّ أوّل إشكال أوردوه على نوح هو: لِمَ كنت إنساناً مثلنا ولم تكن ملكاً؟ فكان جوابه لهم: صحيح أنني بشر مثلكم، ولكن الله آتاني رحمة وبيّنة ودليلا واضحاً من عنده، فلا تمنع بشريتي هذه من اداء هذه الرسالة العظيمة، ولا ضرورة لأن أكون ملكاً. والإشكال الثّاني هو: إنّ أتباع نوح مخدوعون بالظواهر. فيردّهم بالقول: إنّكم أحق بهذا الإتهام، لأنّكم أنكرتم هذه الحقيقة المشرقة، وعندي أدلّة كافية ومقنعة لكلّ من يطلب الحقيقة، إلاّ أنّها خفيت عليكم لغروركم وتكبركم وأنانيتكم. وإشكال ثّالث: أنّهم قالوا: (وما نرى لكم علينا من فضل) فكان جواب نوح(ع): أي فضل أعظم من أن يشملني الله برحمته، وأن يجعل الدلائل الواضحة بين يدي، فعلى هذا لا دليل لكم على اتهامي بالكذب، فدلائل الصدق عندي واضحة وجليّة، وفي ختام الآية يقول النّبي نوح(ع) لهم: هل أستطيع أن ألزمكم الإستجابة لدعوتي وأنتم غير مستعدّين لها وكارهون لها " [3]

أما للامتناع، فيأتي لتعريف المخاطَب أنَّ ذلك المدَّعي ممتنِع عليه؛ وليس من قدرته؛ أو إنكار وجود الفعل،كقوله تعالى:**{أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ}**[4] يقول تعالى ذكره لنبيه (ص) يا محمد (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) من قد سلبه الله استماع حججه

---

1 . سورة هود: 28.
2 . البابرتي، شرح التلخيص، ص360.
3 . مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج6، ص5.
4 . سورة الزخرف: 40.

التي احتجّ بها في هذا الكتاب فأصمه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره، واستحوذ عليه الشيطان، ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة فإسماع الصم لا يدعيه أحد.[1]

2.الاستفهام التقريري

وهو حمل المخاطب على الإقرار والإعتراف بأمر قد استقرَّ عنده، ولا يستعمل الاستفهام التقريري بـ"هل" إنما يستعمل فيه "الهمزة"، وقد ذكر السيوطي حقيقة استفهام التقرير بقوله " أَنه استفهام إنكار، والإِنكار نفي، وقد دخل على النفي، ونفيُ النفي إثبات"[2]، وهذا النوع من الاستفهام يكون المراد به الحكم بثبوته، فهو خبر بان المذكور عقيب الأداة واقع أو طلب إقرار المخاطب به من كون السائل يعلم به[3]، وهوعلى وجوه، منها ان يكون فقط لمجرد الإثبات، نحو قوله تعالى:" **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** "[4]، يقول الطبرسي" الاستفهام في الآية، للتقرير، أي: قد فعلنا ذلك، ويدلّ عليه قوله تعالى في مقام العطف عليه :(**وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ**)، أي: وحططنا عنك وزرك"[5]

وقد يكون الإستفهام التقريري للإثبات مع الافتخار، كقوله تعالى عن فرعون: {**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ**}[6]، أو أن يكون الإستفهام التقريري للتبكيت والتقريع، كقوله تعالى {**أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ**} [7]، يقول صاحب تفسير مجمع البيان" هذا وإن خرج مخرج الاستفهام، فهو تقريع وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى، كما

1 . الطبري، تفسير الطبري، ج21، ص608.
2 . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص140.
3 . السيوطي، البرهان في علوم القرآن، ص518.
4 . سورة الانشراح: 1.
5 . الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص388.
6 . سورة الزخرف: 51.
7 . سورة المائدة : 116.

جرى في العرف بين الناس أن من ادعى على غيره قولا، فيقال لذلك الغير بين يدي المدعى عليه ذلك القول أأنت قلت هذا القول، ليقول: لا. فيكون ذلك استعظاما لذلك القول، وتكذيبا لقائله"[1]، وغيرها من الوجوه الاخرى الذي لا يسع المقام لذكرها.

3.الاستفهام التعجبي

وهو أستفهام يراد منه التعجب من أمر ما، كقول الله تعالى **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ}** [2]، يقول بعض المفسرين في الاية " هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل منكم الكفر بالله؛ الذي خلقكم من العدم؛ وأنعم عليكم بأصناف النعم؛ ثم يميتكم عند استكمال آجالكم؛ ويجازيكم في القبور؛ ثم يحييكم بعد البعث والنشور؛ ثم إليه ترجعون؛ فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه؛ وتدبيره؛ وبره؛ وتحت أوامره الدينية؛ ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي؛ أفيليق بكم أن تكفروا به؛ وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماقة؟"[3]

4.الاستفهام التهكمي

وهو نوع أخر من اغراض الاستفهام في القرآن، ويُقال له أيضا السخرية والإستهزاء، وهو إظهار عدم المبالاة بالمستهزأ أو المتهكم به ولو كان عظيما. وقد يخرج الإستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على هذا المعنى، نحو قوله تعالى حكاية عن الكافرين في شعيب، كقوله تعالى:**{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ}**[4]، فالقصد هنا هو الإستخفاف بشأن شعيب في صلاته التي يلازمها؛ لأن شعيب كان كثير الصلاة، وكان قومه إذا رأوه يصلي تضاحكوا، فقصدوا بسؤالهم لشعيب الهزء والسخرية والتهكم لا حقيقة الإستفهام، يقول الطباطبائي في تفسيره لقولهم لشعيب في الاية " ردّ منهم لحجة شعيب عليه، وهو من

---

1 . الطبرسي، مجمع البيان، ج3، ص495.
2 . سورة: 28.
3 . السعدي، تفسير السعدي، ج1،ص48.
4 . سورة هود: 87.

ألطف التركيب، ومغزى مرادهم أنا في حرية فيما نختاره لأنفسنا من دين أو نتصرف به في أموالنا من وجوه التصرف ولست تملكنا حتى تأمرنا بكل ما أحببت أو تنهانا عن كل ما كرهت فإن ساءك شئ مما تشاهد منا بما تصلى وتتقرب إلى ربك وأردت ان تأمر وتنهى فلا تتعد نفسك لأنك لا تملك إلا إياها، وقد أدّوا مرادهم هذا في صورة بديعة مشوبة بالتهكم واللوم معا ومسبوكة في قالب الاستفهام الانكاري"[1]

5. استفهام الأمر والنهي

وهو أيضًا من اغراض الاستفهام في القرآن الكريم، فقد يرد الإستفهام في القرآن ويكون الغرض منه توجيه الأمر إلى المخاطب[2]، كما في قوله تعالى **{وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ}**[3]، أي أسلموا، يقول الطبري في تفسيره" فإن قال قائل: وكيف قيل: فإن أسلموا فقد اهتدوا عقيب الاستفهام؟ وهل يجوز على هذا في الكلام أن يقال لرجل: هل تقوم؟ فإن تقم أكرمك؟ قيل: ذلك جائز، إذا كان الكلام مرادًا به الأمر، وإن خرج مخرج الاستفهام"[4]، ويقول الفخر الرازي" أأسلمتم: المقصود منه الأمر، قال النحويون: إنما جاء بالأمر في صورة الإستفهام؛ لانه بمنزلته في طلب الفعل والاستدعاء إليه، إلاّ أن في التعبير عن الأمر بلفظ الإستفهام فائدة زائدة، وهي التعبير بكون المخاطب معاندًا بعيدًا عن الإنصاف؛ لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة لم يتوقف، بل في الحال يقبل"[5]

6. الإستفهام لغرض الإستبعاد والإحالة

وهو عدّ الشيء بعيدا سواء أكان حسّيًّا أو معنويّا، وعلى هذا فقد يخرج الإستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على استبعاد السائل للمسؤول عنه، سواء أكان البعد حسيًّا

1 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج10، ص365.
2 . انظر: صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص264.
3 . سورة آل عمران: 20.
4 . الطبري، تفسير الطبري، ج6، ص281.
5 . الرازي، تفسير الرازي، ج7، ص230.

مكانيًّا أو معنويّا، كقوله تعالى{**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ**}[1]، أي يستبعد ذلك منهم بعد أن جاءهم الرسول ثم تولوا عنه.[2]

يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير" هذه الجملة جعلها جميع المفسرين جوابا عن قول القائلين ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون تكذيبا لوعدهم، أي هم لا يتذكرون، وكيف يتذكرون وقد جاءهم ما هو أقوى دلالة من العذاب وهي دلائل صدق الرسول (ص) وأما على التأويل الذي انتزعناه من تركيب الآية فهي جملة مستأنفة ناشئة عن قوله بل هم في شك يلعبون وهي كالنتيجة لها لأنهم إذا كانوا في شك يلعبون فقد صاروا بعداء عن الذكرى و(أنّى) اسم استفهام أصله استفهام عن أمكنة حصول الشيء ويتوسعون فيها فيجعلونها استفهاما عن الأحوال بمعنى (كيف) بتنزيل الأحوال منزلة ظروف في مكان كما هنا بقرينة قوله وقد جاءهم رسول مبين. والمعنى: من أين تحصل لهم الذكرى والمخافة عند ظهور الدخان المبين وقد سدت عليهم طرقها بطعنهم في الرسول (ص) الذي أتاهم بالتذكير ، والاستفهام مستعمل في الإنكار والإحالة، أي كيف يتذكرون وهم في شك يلعبون وقد جاءهم رسول مبين فتولوا عنه وطعنوا فيه، فجملة وقد جاءهم في موضع الحال"[3]

ويقول صاحب تفسير الأمثل" لما كان الكلام في الآيات السابقة في أن هؤلاء إن كانوا طلاب يقين، فإن سبل تحصيله كثيرة، وتضيف أول آية من هذه الآيات بل هم في شك يلعبون فإن شك هؤلاء في حقانية هذا الكتاب السماوي وفي نبوتك، ليس نابعا من كون المسألة معقدة صعبة، بل من عدم جديتهم في التعامل معها، فهم يتعاملون معها بهزل، فيستهزئون ويسخرون تارة، ويصفون أنفسهم بعدم الاطلاع والإلمام وبالجهل"[4]

---

1 . سورة الدخان: 13.
2 . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص447.
3 . ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج26، ص291.
4 . مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 16، ص127.

7: الاستفهام لغرض التوبيخ والتنبيه على الضلال

وقد يكون الغرض من الاستفهام التوبيخ والتنبيه على الضلال أو الخطأ أو الباطل، كقوله تعالى: **{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ}**[1]، وليس القصد هنا الإستفهام عن مذهبهم وطريقهم، بل التنبيه على ضلالهم وانه لا طريق لهم ينجون به، وكثيرا ما يؤكد هذا الإستعمال بالتصريح بالضلال، فيقال لمن ضل عن طريق القصد: يا هذا إلى أين تذهب؟ قد ضللت فارجع، وبهذا يُعلم أن التنبيه على الضلال لا يخلوا من الإنكار والنفي، يقول الطباطبائي" فقوله(فأين تذهبون) توطئة وتمهيد لذكر نتيجة البيان السابق، وهو استضلال لهم فيما يرونه في أمر القرآن الكريم أنه من طواري الجنون أو من تسويلات الشيطان الباطلة، فالاستفهام في الآية توبيخي والمعنى إذا كان الأمر على هذا فأين تذهبون وتتركون الحق وراءكم؟"[2]

8: الاستفهام لغرض العرض والتشويق

وفيه لا يطلب السائل العلم بشيء لم يكن معلوما له من قبل، وإنما يريد أن يوجه المخاطب ويشوقه الى أمر من الأمور، نحو كقوله تعالى**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**[3]، فهذا استفهام بمعنى التشويق يعني أن الله تعالى يشوقنا إلى هذه التجارة وهي التجارة الرابحة

1 . سورة التكوير: 25-26.
2 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج20، ص220.
3 . سورة الصف: 10-11.

ويقول الطبرسي" صورته صورة العرض والمراد به الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء إلى الإخلاص في الطاعة والمعنى هل ترغبون في تجارة منجية من العذاب الأليم"[1].

هذا ما يسمح به البحث بذكره من أغراض الاستفهام ودلالاته، وهناك أنواع وأغراض أخرى للإستفهام في القرآن الكريم، كالاستفهام الترغيبي واستفهام التمني والاستفهام الاستبطائي والاستفهام التحضيضي والاستفهام التأكيدي والاستفهام الإستبعادي وإستفهام الاكتفاء ولكنها قد تدخل في أحد الأغراض التي ذكرناها.

1 . الطبرسي، مجمع البيان، ج9، ص465.

الفصل الثالث

استفهام الملائكة حول خلافة الانسان

ويتضمن المباحث التالية

المبحث الأول: الاستخلاف مفهومه وحقيقته

المبحث الثاني: خلافة الانسان وهاجس استفهام الملائكة

المبحث الأول

الاستخلاف مفهومه وحقيقته

تمهيد

في هذا الفصل سنتناول مسألة حقيقة إستخلاف الإنسان في الأرض وثقل الأمانة التي انيطت بالإنسان؛ وتخصيص الانسان بالاستخلاف دون سائر المخلوقات الأخرى من ملائكة وجن وغيرهم، يوحى بانها درجة وجودية عليا بين المخلوقات، ومركز وجودي متعالي خصّ به آدم وذريته من دون الخلق جميعا.

أولا: مفهوم الاستخلاف

قبل الشروع بالبحث عن الإستخلاف وإستفهام الملائكة حول خلافة الإنسان يجدر بنا التطرق إلى مفهوم الخلافة الإلهية للإنسان وتعريفها بشكل واضح والوقوف على حقيقتها.

1: الإستخلاف لغة

ذكر علماء اللغة إن الإستخلاف مصدر الفعل استخلف يستخلف استخلافاً، يقال: استخلف فلان فلاناً، إذا جعله خليفة، يقول ابن فارس" أن الخاء واللام والفاء في(خلف) تأتي لأحد معانٍ ثلاث:

فالمعنى الأول هو أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه، فالخَلَف - بفتح أوله ووسطه - ما جاء بعد الشيء، يُقال: هو خَلَف صدق من أبيه، أو هو خَلَف سوء من أبيه، والخلافة: راجعةٌ إلى الخَلَف؛ سميت بذلك لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه، وخَلَف فلانٌ فلاناً إذا كان خليفته، يقال خلفه في قومه خلافةً، واستخلف فلاناً: جعله مكانه، يقال: خلَّفت فلاناً أُخلِّفه تخليفاً، واسْتَخْلَفه: جعله خليفة. اما المعنى الثاني فهو خلاف قدَّام، ويكون هذا المعنى بتسكين الوسط (خَلْف) يقال: هذا خَلْفي، وهذا قدامي. المعنى الثالث : التَغيُّر – يقال : خَلَف فوه، إذا تغيَّر، ومنه قوله (ص) لَخَلُوف

فَمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. ومنه إخلاف الوعد"[1]، ويقال: خلف فلان فلاناً على أهله وماله صار خليفة، ويقال خلفته إذا جئت بعده.[2] وقد أتفق علماء اللغة كذلك ان هذا الاشتقاق اللغوي، اسم يصلح استعماله لمطلق الجنس، فلذلك فهو ينطبق على الذكر والانثى، فلا يتخصصٌ لاحدهما عند الاطلاق، وخليفة يكون بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول.[3]

والمعنى الأول من المعاني الثلاثة الذي ذكرها ابن فارس وهو مجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه هو الذي نريده في موضوع بحثنا.

2: الإستخلاف اصطلاحا

اما الاستخلاف في المعنى الإصطلاحي فهو قريب من المعنى اللغوي للخلافة، والاستخلاف إصطلاح إستعمله القرآن الكريم للمقام الذي خصّ به الله تعالى الإنسان دون غيره من المخلوقات تكريماً وتشريفًأ له، يقول الراغب "الخلافة إما لغيبة المنوب عنه أو لموته واما لعجزه، واما لتشريف المستخلف"[4]، فالخلافة هي تشريف للإنسان وفي نفس الوقت تكليف الهي للإنسان ليباشر مهمة الاعمار والبناء في الأرض وفق إرادة الله سبحانه لتتحقق بذلك العبودية الكاملة في هذا الكون وللقيام باعباء امانة الاستخلاف، وبذلك تصبح الخلافة والإستخلاف بمعنى" الإستئمان على الكون والطبيعة والبشر، ولهذا وصفها القران الكريم في احدى اياته بالامانة، فالانسان الخليفة مؤتمن، وكذلك مجتمع الخلافة، وجوهر الامانة هو رعاية تلك القيم الخيرة التي ينطوي عليها المشروع الإسلامي الحضاري" [5]

---

1 . انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص309.

2. انظر: ابن منظور، لسان العربج4، ص182؛ الجوهري، الصحاح، ج4، ص1356.

3 . الفيومي، المصباح، مادة خلف.

4. الراغب الاصفهاني، معجم مفردات القران الكريم، ص 157.

5. الشهيد الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص 154.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن عملية الاستخلاف من جانب الله تعالى، كذلك تحدّث عن تحمّل الإنسان لأعباء هذه الخلافة بوصفها أمانة عظيمة ينوء الكون كلّه بحملها، قال الله سبحانه وتعالى**{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}**[1]

كما ان الخلافة ليست وقفا على أبونا آدم الإنسان الأول، وانما هي تمتد لتشمل نوع الانسان الذي سيتفرع من آدم منذ بدء الخليفة الى نهاية الدنيا، فهو أيضًا مكلف بحمل مسوؤلية الاستخلاف يقول الزمخشري " أُريد بالخليفة آدم، واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم "[2]، فالله سبحانه وتعالى خلق آدم في الأرض واستخلفه فيها، كما استخلف ذريّته من بعده، وقد اناب عنه الانسان في هذا الوجود ليتصرف في مملكته الكونية طبقا لحق الاستخلاف الذي وهبه إيّاه.[3]

فالإستخلاف يمكن تعريفه إصطلاحا بإنه تفويض للإنسان بخلافته على الأرض، وله أركان ثلاثة هي المستخلِف وهو الله سبحانه وتعالى، والخليفة وهو الإنسان، وموضوع الاستخلاف وهي الأرض في الدنيا، فالله عزَّ وجلَّ أنزل آدم أبو الجنس البشري إلى الأرض واستخلفه وذريته فيها، فيجب عليهم أن يقوموا بحق هذه النيابة من عمارة الأرض واستغلالها كما أباح الله، وتسخير ذلك في طاعته تعالى، ويمكن تقسيم الاستخلاف إلى قسمين عام وخاص، القسم الأول هو الاستخلاف العام، وهو استخلاف البشر كلهم في الأرض، وقد بدأ هذا الاستخلاف من حين أن أهبط الله آدم عليه السلام وزوجته حواء إلى الأرض بعد معصيتهما، قال تعالى**{ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ}**[4]، أي أنكم سوف تستقرون في الأرض، وتنتفعون بما أعطاكم الله وسخر لكم من النعم التي عليها، ولكن هذا ليس على وجه الدوام والخلود، بل إلى حين أي إلى قيام الساعة حيث ينتهي هذا

---

1 . سورة الاحزاب : 72.

2. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل،ج1، ص271.

3. المودودي، نظام الحياة في الإسلام، ص23.

4 . سورة البقرة:36.

الاستخلاف، فمحل الاستخلاف العام هو الأرض بما فيها وما عليها، وهو ليس خاصاً بفئة دون أخرى، أو بجنس دون آخر، بل يشمل ذرية آدم جميعها، ذكرهم وأنثاهم، من دون تحديد بجنسٍ معين، وبناءً على هذا الاستخلاف العام فإن الأصل اشتراك البشر جميعاً في الانتفاع مما أوجد الله في الأرض من خيرات وطيبات. والقسم الثاني هو الإستخلاف الخاص، وذلك إذا كان مصدر ملكية الفرد للشيء من مالك سابق عليه كالإرث أو الوصية أو من عقد يترتب عليه انتقال الملكية، فيكون حل محل المستخلِف السابق عليه فيما استُخلِف فيه، وقد أشار الله سبحانه إلى هذا النوع من الاستخلاف في قوله تعالى{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}[1]، حيث نسب الاستخلاف إلى الأفراد مباشرة، فهم مستخلفين فيما تحت أيديهم من الأموال.[2]

ثانيا: حقيقة خلافة الانسان في الارض

لقد تحدث القرآن الكريم عن موضوع خلافة الإنسان في الارض بشكل واضح وصريح في قوله تعالى{ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـئِكَةِ إِنّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَـئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَآءِ هَـؤُلاَءِ إِن كُنْتُمْ صَـدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَـنَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَـادَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}**[3]

وحول هذا الحوار بين الله تعالى والملائكة هناك رأيان مختلفان، الاول يذهب إلى إن هذا الحوارحقيقي ولكن لانعلم حقيقته، لانه شأن الله تعالى مع ملائكته، يقول محمد عبده " ذلك الحوار في الآيات فهو شأن من شؤون اللّه مع ملائكته صوره لنا في هذه

1 . سورة الحديد: 7.
2 . انظر: الدكتورعبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، ص10.
3 . سورة البقرة: 31- 39.

الفصول بالقول والمراجعة والسؤال والجواب ونحن لا نعرف حقيقة ذلك القول، ولكننا نعلم انه ليس كما يكون منا، وان هناك معانٍ قصدت افادتها بهذه العبارات وهي عبارة عن شأن من شؤونه تعالى قبل خلق آدم وانه كان يعد له الكون او شأن مع الملائكة يتعلق بخلق نوع الانسان وشأن آخر في بيان كرامة هذا النوع وفضله"[1]

وضمن هذا الرأي هناك من يعتقد إنه حوار حقيقي ولكنه لم يذكر بتمامه وكماله، وهذا ديدن القصص القرآني، يقول بعض المفسرين" هناك رأي يطرح القضية في اتجاه آخر لا يتحدّث عن معلومات ذاتية حسية أو استنتاجية، بل يتحدّث عن إمكانية أن يكون الحوار ـ لو كان هناك حوار حقيقي ـ غير مذكور بتمامه، بل يمكن أن تكون هناك جوانب أخرى للحوار لم يتعلّق غرض بيانها في القصة، على أساس الطريقة القرآنية التي تختصر القصة فلا تذكر كلّ التفاصيل، بل تقتصر على الأشياء التي تتصل بالهدف الأساس فيها، فربما كان الملائكة قد سألوا بعد إخبار اللّه لهم بجعل الخليفة، عن خصائصه وأعماله وأدواره، فأجابهم اللّه بما يحدث منه من قضايا لا تنسجم مع إرادته كقضايا الإفساد في الأرض وسفك الدماء، فاستغربوا ذلك، وسألوا عن الحكمة في ذلك، فكانت معرفتهم مستمدة من تعريف اللّه لهم بذلك في إطار القصة، وهذا ما نستقربه على أساس دراسة طبيعة الأشياء، أمّا إذا صحّت الأحاديث المأثورة من جهة السند، فإننا نتبناها ـ في تفسير السؤال ـ باعتبارها الحجة على التفسير بعيداً عن الآراء والظنون.[2]

والرأي الثاني يذهب إلى ان هذه القصة بمواقفها المختلفة انما جاءت على شكل التمثيل لا الحقيقة، وهي تحاول تقريب النشأة الآدمية الانسانية واهميتها وفضيلتها، يقول صاحب تفسير من وحي القرآن في كلام طويل ومفصّل حول حقيقة هذا الحوار ملخصه هو:" هل هو قصة حقيقة جرت بين الله وبين الملائكة، أم هو أسلوب قرآني لتقريب الفكرة بطريقة الحوار لأنه أقرب إلى فهم الفكرة من الأسلوب التقريري، إذ

1 . محمد رشيد رضا، تفسيرالمنار،ج 1،ص253.
2 . السيد فضل الله، من وحي القرآن، ج1، ص221.

إن أسلوب الحوار متحرك يوحي بالحركة في الفكرة عند ما تتوزع تفاصيلها على عدة أشخاص بين السؤال والجواب، بينما نشعر في الأسلوب التقريري، بأن الفكرة تسير بشكل رتيب هادئ لا يثير في النفس أي شعور غير عادي إلا من خلال طبيعة الفكرة؟ وليس هذا الأسلوب بدعا في الأساليب القرآنية، فنحن نجد في كثير من آيات القرآن حوارا يدور بين الله وبين ما لا يعقل ولا ينطق من مخلوقاته ، كما في ما حكاه الله سبحانه في خلق السماوات والأرض إذ قال لهما **{ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ }**[1]، لتقريب فكرة خضوعهما التكويني لله بما أودعه فيهما من قوانين طبيعية تسير بهما وفق إرادته وحكمته. ولا بد لنا في الجواب عن هذا التساؤل من الحديث عن موقفنا حيال الظواهر القرآنية، فهل لنا أن نتصرف فيها فنحملها على غير ما يفهم من مدلولها الحرفي أم لا؟ إن الطريقة العقلائية في المفاهيم تقضي بأن الظواهر الكلامية حجة ما لم يكن هناك دليل عقلي يمنعنا من الأخذ بها، وقد جرى القرآن على هذه الطريقة في أسلوبه، فلا بد لنا من السير عليها في ما نأخذ منه أو ندع، فإذا أخبرنا بوجود حوار ضمن قصة ولم يكن هناك مانع عقلي من الإقرار به، فيلزمنا الإقرار به واعتباره حقيقة واقعة. أما إذا كان هناك مانع عقلي فلا بد من حمله على ما ينسجم معه على أساس قواعد المجاز والكناية والاستعارة... فما موقع قصتنا من هذه القاعدة؟ قد يعالج البعض القضية من خلال هذا السؤال: كيف نفهم الحوار كحقيقة موضوعية؟ هل كان الله سبحانه، في مقام استشارة الملائكة في ما يريده من خلق هذا الخليفة أم كان في مقام إخبارهم بذلك؟ لا بد من رفض الشق الأول من السؤال؛ لأن الاستشارة تنطلق من محاولة الوصول إلى الرأي الأصوب الذي يستتبع الجهل بالواقع مما يستحيل نسبته إليه تعالى. وأما إذا كانت القضية إخبارا عما يريد الله فعله، فكيف نفسّر اعتراض الملائكة عليه، مع أننا نعرف، من خلال القرآن الكريم ، أنهم **{عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}**[2]، فكيف نفسر الحوار؟ ونقول: ربما تكون القضية واردة مورد التساؤل أمام الإخبار، وليس هناك ما يوجب اعتبار السؤال

1 . سورة فصلت: 11.
2 . سورة الانبياء: 26-27.

اعتراضا، فإن طبيعة الموضوع تدفع للتساؤل عن سر الحكمة فيه، وتثير الدهشة والاستغراب، فكيف يخلق الله مخلوقا ليكون خليفته في الأرض، في الوقت الذي تتمثل حياته في التمرد على الله بالفساد وسفك الدماء؟ إن القضية، بحسب طبيعتها، تشبه اللغز. وفي هذا الإطار، يمكن أن تكون القضية جوابا عن سؤال أثاره الملائكة لكشف الموضوع، ويمكن أن تكون جوابا عن سؤال تفرضه طبيعة القضية، بعيدا عن أجواء الحوار الحقيقي. وقد نستطيع أن نتبنى الفكرة الثانية ، لأن الآيات ، بمجموعها ، توحي بأن في القضية نوعا من التحدي الذي يوجه نحو الملائكة، بإثارة محدودية علمهم من جهة، وبتوجيه السؤال إليهم لإظهار عجزهم وتكليف آدم بالإجابة عنه. وقد يقرّب هذه الفكرة، أننا لا نفهم الوجه في إدارة هذا الحوار مع الملائكة، فإن حوار الله مع مخلوقاته ينطلق غالبا من القضايا التي تتعلق بمسؤولياتهم وتكاليفهم، أمّا أن يكون متمثلا في الأمور التكوينية التي يريد إيجادها ، فهذا ما لا نعرف له وجها. ومن الطبيعي، أن هذا لا يعتبر مانعا عقليا عن حمل اللفظ على ظاهره، ولا سيما أننا لا نملك الكثير من المعرفة لعالم ما وراء الطبيعة، فنحن لا نعرف كيف يقولون، وكيف هم، وما هي العلاقة بينهم وبين الله سبحانه، وما هو الجو الذي يمكن أن يعيش فيه هذا الحوار. كل هذا لا نملك له سبيلا للمعرفة، فإن هذه القضايا مما نعرف وجودها بشكل ضبابي، لأننا لا نجد وسائل الإيضاح التي تجعلنا نتمثل الفكرة بوضوح، إننا نستقرب اعتبار الموضوع أسلوبا قرآنيا لتوضيح الفكرة، ولكننا لا نجزم بذلك؛ لأن المعطيات التي قدمناها لا تدع مجالا للجزم، بل ربما نلتقي ببعض الأحاديث المأثورة التي تدعم الفرضية الأولى "[1]

وقد تعرض المفسّرون بنحو مفصل لبحث خلافة الانسان في ذيل هذه الآيات، حيث حملوا كلمة الخليفة على معناها اللغوي وهو أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والخليفة هو النائب عن الغير، أما هذا الغير الذي ينوب الإنسان عنه فاختلفت فيه أقوال المفسرين:

1 . السيد فضل الله، من وحي القرآن،ج1، ص224-22.

منهم من قال إنه خليفة الملائكة الذين كانوا يسكنون من قبل على ظهر الأرض. ومنهم من قال إنه خليفة بشر آخرين أو موجودات اخرى كانت تعيش قبل ذلك على الأرض. وذهب بعضهم إلى أن الخليفة إشارة إلى أن كل جيل من البشر يخلف الجيل السابق.

والحق أن المقصود بالخليفة هو خليفة اللّه ونائبه على ظهر الأرض، كما ذهب إلى ذلك كثير من المحققين.[1]

وقال العلامة الطباطبائي" الخلائف جمع خليفة، و كون الناس خلائف في الأرض هو قيام كل لاحق منهم مقام سابقه وسلطته على التصرف والانتفاع منها كما كان السابق مسلطا عليه وهم إنما نالوا هذه الخلافة من جهة نوع الخلقة وهو الخلقة من طريق النسل والولادة، فإن هذا النوع من الخلقة يقسم المخلوق إلى سلف وخلف"[2] على كل حال اختلاف كلمة المفسرين في مسالة الخلافة لا ينافي أصل الموضوع؛ يعني خلافة الله في الارض؛ وذلك لان الانسان يمكن أن يكون خليفة المخلوقات السابقة (الاقوام السابقة) و في نفس الوقت يكون خليفة لله تعالى، والنقطة المشتركة فيه هم الانبياء والاولياء الالهيون، يتضح من مخاطبة الله تعالى النبي داود (ع) خاصة بقوله تعالى**{يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَق}** أن الانسان خليفة الله تعالى، إذ لو كان خليفة للاقوام السابقة فلا حاجة الى البيان المستقل حينئذ. على هذا الاساس، الأمر المسلم بين المفسرين والمحققين هو خلافة الانسان في الارض والذي أكدته الآيات والروايات الكثيرة.

فهذه الآيات في سورة البقرة تؤكد أن الله سبحانه خلق ما في الأرض جميعاً للإِنسان، وفيها عرض لخلقة آدم (أبوالبشر)، وقد تمّ التركيز فيها على ثلاث مسائل أساسية هي:

---

1 . الطبرسي، مجمع البيان، ج 1، ص 177.
2 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 17، ص 52

1: إخبار الله ملائكته بشأن خلافة الإِنسان في الأرض، وما دار في المشهد من حوار.

2 : أمر الله تعالى ملائكته بإكرام وتعظيم الإِنسان الأول، وهذا ما نجده في مواضع عديدة من القرآن الكريم بمناسبات مختلفة.

3 : شرح وضع آدم وحياته في الجنّة، والحوادث التي أدت إلى خروجه من الفردوس، ثم توبة آدم، وحياته هو وذريته في الأرض.

وهي تتحدث عن المرحلة الأُولى، حين شاء الله أن يخلق على ظهر الأرض موجوداً، يكون فيها خليفته، ويحمل أشعة من صفاته، وتسمو مكانته على مكانة الملائكة، وشاء سبحانه أن تكون الأرض ونعمها وما فيها من كنوز ومعادن وإمكانات تحت تصرف هذا الإِنسان.[1]

يقول الرازي في تفسيره" المسألة الخامسة: اختلفوا في أن المراد من قوله: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) كل الملائكة أو بعضهم، فروى الضحاك عن ابن عباس أنه سبحانه وتعالى إنما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع إبليس؛ لأن الله تعالى لما أسكن الجن الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله إبليس في جند من الملائكة فقتلهم إبليس بعسكره حتى أخرجوهم من الأرض، وألحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم: (إني جاعل في الأرض خليفة) وقال الأكثرون من الصحابة والتابعين أنه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لأن لفظ الملائكة يفيد العموم فيكون التخصيص خلاف الأصل"[2]

وقد خاطب القرآن الكريم المجتمع البشري في مراحل متعدّدة، وذكّره بأنّ الله قد جعلهم خلائف في الأرض، وكان آدم هو الممثّل الأوّل لها، بوصفه الإنسان الأوّل الذي تسلّم هذه الخلافة، وحظي بهذا الشرف الربّاني؛ فسجدت له الملائكة ودانت له

1 . مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 1، ص155.
2 . الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 162.

قوى الأرض، وعملية الاستخلاف الربّانيّ للجماعة على الأرض بهذا المفهوم الواسع تعني:

أوّلاً: انتماء الجماعة البشرية إلى محور واحد، وهو المستخلِف - أي الله سبحانه وتعالى - الذي استخلفها على الأرض بدلاً عن كلّ الانتماءات الأخرى، والإيمان بسيّد واحد ومالك واحد للكون وكلّ ما فيه، وهذا هو التوحيد الخالص الذي قام على أساسه الإسلام، وحملت لواءه كلّ ثورات الأنبياء تحت شعار "لا إله إلّا الله"

ثانياً: إقامة العلاقات الاجتماعية على أساس العبودية المخلصة لله، وتحرير الإنسان من عبودية الأسماء التي تمثّل ألوان الاستغلال والجهل والطاغوت ومحو كل ألوان الاستغلال والتسلّط، فما دام الله سبحانه وتعالى واحداً ولا سيادة إلّا له، والناس جميعاً عباده ومتساوون بالنسبة إليه، فمن الطبيعي أن يكونوا أخوة متكافئين في الكرامة والحقوق الإنسانية، ولا يقوم التفاضل على مقاييس الكرامة عند الله تعالى إلّا على أساس الإيمان والعمل الصالح والتقوى. [1]

ويمكن تلخيص الآراء في حقيقة الخلافة في الارض من قبل الله تعالى في ما تدل عليه الآية، بعدّة أمور منها: ان آدم سمي خليفة؛ لانه خلف مخلوقات اللّه سبحانه في الارض وهذه المخلوقات اما ان تكون ملائكة او يكونوا الجن الذين أفسدوا في الارض وسفكوا فيها الدماء، او يكونوا آدميين آخرين.ومنها انه سمي خليفة؛ لانه وابناءه يخلف بعضهم بعضاً فهم مخلوقات تتناسل ويخلف بعضها البعض الآخر. ومنها انه سمي خليفة لانه يخلف اللّه سبحانه في الارض، وفي تفسير هذه الخلافة لله سبحانه تعددت الآراء، فذهب بعضهم إلى القول إنه يخلف الله في الحكم والفصل بين الخلق؛ وقال بعضهم يخلف اللّه سبحانه في عمارة الارض واستثمارها [2]؛ وأعتقد بعضهم الاخر إنه

1 . مركز نون، خلافة الانسان سلسلة دروس في فكر الشهيد الصدر، ص17-18.
2 . الطوسي ، تفسير التبيان،ج 1،ص131.

يخلف الله سبحانه في العلم بالاسماء[1]؛ واخيرا قال بعضهم إنه يخلف اللّه سبحانه في الارض بما وهبه الله من قوة غير محدودة سواء في قابليتها او شهواتها او علومها.[2]

ومن خلال هذا التفصيل يمكن حصر معنى الخلافة في أمرين هما:

الأول: الخلافة عن الموجودات السابقة على خلق الإنسان

انطلاقاً من بعض الأحاديث المرويّة التي تذكر أنَّ هناك فصائل حيّة عاشت في الأرض قبل الإنسان، وعاثت فيها فساداً، وسفكت الدماء، ثُمَّ انقرضت بعد ذلك، وجاء الإنسان ليخلفها على هذه الأرض، وهناك أحاديث تعطي لتلك الموجودات الصفة الإنسانية أو الآدمية باعتبار وجود آلاف من الآدميين قبل آدم أبي البشر.[3]

ومنهم من قال إنه خليفة الملائكة الذين كانوا يسكنون من قبل على ظهر الأرض، ومنهم من قال إنه خليفة بشر آخرين أو موجودات أُخرى كانت تعيش قبل ذلك على الأرض، وذهب بعضهم إلى أن الخليفة إشارة إلى أن كل جيل من البشر يخلف الجيل السابق.[4]

يقول الفخر الرازي بهذا الخصوص" الخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه قال الله تعالى: (ثم جعلناكم خلائف في الأرض) (واذكروا إذ جعلكم خلفا ، فأما أن المراد بالخليفة من؟ ففيه قولان: أحدهما: أنه آدم عليه السلام وقوله:(أتجعل فيها من يفسد فيها) المراد ذريته لا هو، والثاني: أنه ولد آدم. أما الذين قالوا المراد آدم عليه السلام فقد اختلفوا في أنه تعالى لم سماه خليفة وذكروا فيه وجهين: الأول: بأنه تعالى لما نفى الجن من الأرض وأسكن آدم الأرض كان آدم عليه السلام خليفة لأولئك الجن الذين تقدموه، يروى ذلك عن ابن عباس. الثاني: إنما سماه الله خليفة لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهذا الرأي

1 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج1، ص118.
2 . محمد رشيد رضا، تفسيرالمنار،ج 1،ص254.
3 . السيد فضل الله، من وحي القرآن، ذيل الاية 30 من سورة البقرة.
4 . مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 1، ص155.

متأكد بقوله: (إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق)، أما الذين قالوا المراد ولد آدم فقالوا: إنما سماهم خليفة لأنهم يخلف بعضهم بعضا وهو قول الحسن ويؤكده قوله: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى وقرئ خليقة بالقاف. فإن قيل ما الفائدة في أن قال الله تعالى للملائكة:(إني جاعل في الأرض خليفة) مع أنه منزه عن الحاجة إلى المشورة والجواب من وجهين: الأول: أنه تعالى علم أنهم إذا اطلعوا على ذلك السر أوردوا عليه ذلك السؤال فكانت المصلحة تقتضي إحاطتهم بذلك الجواب فعرفهم هذه الواقعة لكي يوردوا ذلك السؤال ويسمعوا ذلك الجواب. الوجه الثاني: أنه تعالى علم عباده المشاورة"[1]

الثاني: الخلافة عن اللّه

وقد وردت عدّة آيات بهذا المضمون كما في قوله تعالى**{ يادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاس بِالْحَقِّ}**[2] وقوله تعالى **{ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}**[3]، وعلى هذا يكون معنى الخلافة عن اللّه هو إدارة الأرض وبناؤها وإعمارها على وفق إرادة اللّه.

يقول صاحب تفسير الامثل" الخليفة هو النائب عن الغير، أما هذا الغير الذي ينوب الإنسان عنه فاختلفت فيه أقوال المفسرين طبعاً يدور الكلام عن موضوع الخليفة ومن هو خليفة الله ومن هم خلفاء الله في الارض؟ والحق أن المقصود بالخليفة هو خليفة الله ونائبه على ظهر الأرض، كما ذهب إلى ذلك كثير من المحققين. لأن سؤال الملائكة بشأن هذا الموجود الذي قد يفسد في الأرض ويسفك الدماء يتناسب مع هذا المعنى، لأن نيابة الله في الأرض لا تتناسب مع الفساد وسفك الدماء. ومسألة «تعليم

1 . الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 164.
2 . سورة ص:26.
3 . سورة يونس :14.

الأسماء» لآدم وهكذا سجود الملائكة لآدم من أدلة ما ذهبنا إليه في تفسير معنى الخليفة"[1]

كذلك يقول السيد فضل الله" لعلّ الرأي الثاني - الخلافة عن الله - أوفق بظاهر الآيات؛ لأنَّ سياقها يوحي بأنَّ الملائكة لم يطرحوا سؤالهم انطلاقاً من إفساد الإنسان في الأرض وسفكه الدماء فقط، بل باعتبار أنفسهم مؤهلين لذلك، وكان وحي اللّه إليهم في إطار بيان الخصائص التي يملكها هذا المخلوق ولا يملكونها هم، مما يؤهله للقيام بالمهمة الموكولة للخليفة، فكأنَّ القضية هي قضية الدور الذي يُراد للخليفة أن يقوم به، لا مجرّد خلق موجود جديد يخلف الكائن القديم .ولهذا كان الحوار منطلقاً من موقع الخصائص الموضوعية للخلافة الموجودة في الإنسان المفقودة في غيره. ولو كانت القضية كما يُتوهم في المعنى الأول، لما كان هناك أية حاجة لكلّ هذه التفاصيل، فإنَّ الخلافة عن الموجودات السابقة لا تحتاج إلى ميزة ذاتية أو ميزة عن الملائكة.وفي ترجيح المعنى الثاني، لا يمكن إنكار ما ورد في الأحاديث من وجود خلق آخر، فإنَّ قضية وجوده وعدمه لا ترتبط بخلافته عنه وعدمها كما هو واضح، وقد تصلح هذه الأحاديث لأن تكون تفسيراً للسؤال المطروح في أكثر من مجال أمام هذا الحوار القرآني، وهو من أين عرف الملائكة أنَّ هذا المخلوق الجديد يسفك الدماء ويفسد في الأرض مع أنه لم يدخل مجال التجربة بعد؟[2]

فلا يمكن فهم مثل هذا السّبق المعرفيّ إلاّ في ضوء أحد احتمالاتٍ ثلاثة: إماّ أن يكون قد سبق للملائكة علمٌ بوجود كائن سابق كانت هذه صفته، أو أنّ علماً إلهيّا كان لدى الملائكة بأنّ الأرض سيكون فيها الفساد وسفك الدّماء، وإماّ أنّ لفظ "خليفة "أوحى بمدلوله ومقتضاه للملائكة بأنّ هذا المخلوق قائمٌ مقام من استخلفه وهو الله تعالى، يُجري أحكامه ومقاصده في هذه الأرض يعني أنّه سيمتّعه ببعض صفاته دون إشراكه في خصائصه وكمالاته ومنها الإرادة والاختيار، وإن كان بعض المفسّرين رجّح

1 . مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1، ص55.
2 . السيد فضل الله، من وحي القرآن، ذيل الاية 30 من سورة البقرة.

الاحتمالين الأوّلين أو أحدهما[1]، فالاحتمال الثّالث يؤكد أن الملائكة عرفت بفساد الخليفة من نفس حقيقة جعل الله لهذا الإنسان خليفةً له على هذه الأرض، ومسؤولاً على التّصرّف فيها بأمره، ومقتضى ذلك أن يجعله الكائن الحرّ المختار؛ إذ لا معنى لمسؤوليةٍ دون اختيار وحرّية، فأصبح حينئذ بإمكان هذا الخليفة بمقتضى حرّيته واختياره، أن يُصلِح في الأرض وأن يُفسِد فيها أيضا، وأكبر الظّنّ أنّ هذه الحقيقة هي التي أثارت في نفوس الملائكة المخاوف من مصير هذه الخلافة، وإمكانية انحرافها عن الطّريق السّويّ الذي يُفهم من "الخلافة عن الله تعالى "إلى طريق الفساد وسفك الدّماء؛ لأنّ صلاح البشرية لماّ كان مرتبطاً بإرادة هذا الإنسان الخليفة، ولم يكن مضموناً بقانون قاهر، كما هي الحال في كلّ مجالات الطبيعة، فمن المتوقّع أن تجد إمكانية الإفساد والشّر مجالا لها في الممارسة البشريّة على أشكالها المختلفة، وكأنّ الملائكة أذهلهم وجود مخلوق يتعادل فيه قدرته على الخير والشّر، وفضّلوا على ذلك الكائن الذي يولد ناجزاً مصمَّماً لا فراغ في سلوكه.[2]

لقد ظنّ الملائكة الكرام أنّ مؤهّل استحقاق الخلافة وجوهرها يكمن في الإكثار من الذكر وملازمة التسبيح، فهم من هذه الناحية أجدر من الإنسان فقالوا**{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}**[3]، فجاءتهم إجابة الله تعالى أنّه زوّد هذا الإنسان بقدرة فاق بها الملائكة وغيرهم تمثّلت في قابليّته للتّعلّم والتّعليم، فحاز بذلك زمام العلم الواسع الآفاق والمتجدّد العطاء، فسلّم الملائكة وأذعنوا مستخدمين نفس أسلوب التّعبير، مكرّرين لكلمة العلم ومشتقّاته، إشارة إلى ذلك الفضل الذي حبا الله به الإنسان[4]، قال تعالى نقلاً عنهم:**{ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}**[5]

1 . عبد العزيز لعيادي، الانسان الخليفة ومهمة الاعمار، ص3-4.
2 . المصدر السابق.
3 . سورة البقرة:30.
4 . عبد العزيز لعيادي، الانسان الخليفة ومهمة الاعمار، ص3-4.
5 . سورة البقرة:32.

بعد أن تعرفنا على آراء العلماء المختلفة تجاه المفاهيم البارزة التي جاءت في هذا المقطع القرآني لابد لنا من معرفة الصورة الكاملة للمقطع القرآني لنستخلص نظرية استخلاف آدم منها، وهنا صورتان لهذه النظرية بينهما كثير من وجوه الشبه.[1]

الاولى: هناك من يرى ان القصة وردت مورد التمثيل لغرض تقريبها من تناول افهام الخلق لها لتحصل لهم الفائدة من معرفة حال النشأة الاولى، وعلى هذا الاساس يمكننا ان نفهم كثيراً من جوانب هذه المحاورة والالفاظ التي استعملت فيها دون ان تتقيد بالمعنى اللغوي العرفي لها.

فالله سبحانه اخبر الملائكة بانه بصدد ان يجعل في الارض خليفة عنه يودع في فطرته الارادة المطلقة التي تجعله الاشياء حسب قدرته ومعلوماته التي لا يمكن ان تصل مرتبة الكمال، وعلى اساس هذه الارادة المطلقة وهذا العلم الناقص عرف الملائكة ان هذا الخليفة سوف يسفك الدماء ويفسد في الارض لان ذلك نتيجة طبيعية لما يتمتع به من ارادة مطلقة يسير بها حسب علمه الذي لا يحيط بجميع جوانب المصالح والمنافع الامر الذي قد يوجه الارادة الى خلاف الحكمة والمصلحة فيقع في الفساد.

وحين عرف الملائكة ذلك تعجبوا من خلق الله لهذا النوع من الخلق الذي يسفك الدماء ويفسد في الارض فسألوا الله سبحانه (عن طريق النطق او الحال او غير ذلك) ان يتفضل عليهم باعلامهم عن ذلك وبيان الحكمة لهم. وكان الجواب لهم على ذلك هو بيان الخضوع والتسليم لمن هو بكل شيء عليم لان هذا هو موقف جميع المخلوقات تجاهه.

على ان هذا النوع من الخضوع والتسليم الذي ينشأ من معرفة الملائكة باحاطة الله بكل شيء قد لا يذهب الحيرة ولا يزيل الاضطراب... وانما تسكن النفس باظهار الحكمة والسر الذي يختفي وراء الفعل الذي حصل منه تعجب الملائكة.

---

1 .انظر: السيد محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص463، بتصرف.

ولذلك تفضل الله سبحانه على الملائكة بان اوضح لهم السر واكمل علمهم ببيان الحكمة في هذا الخلق فأودع في نفس آدم وفطرته علم جميع الاشياء من غير تحديد ولا تعيين الامر الذي جعل لآدم امتيازاً خاصاً استحق به الخلافة عن الله في الارض.

وحين اودع الله في فطرة آدم علم الاشياء من غير تحديد، عرض الاشياء على الملائكة واطلعهم عليها اطلاعاً اجمالياً ثم طالبهم بمعرفتها والانباء بهذه واذا بهم يظهرون التأكيد على التسليم والخضوع والعجز والاعتراف، وعند ذلك أمر الله آدم أن ينبئهم بالاشياء ففعل، وذلك لتتكشف لهم الحقيقة بأوضح صورها واشكالها.

الثانية: وهي تختلف عن الصورة السابقة في بعض الجوانب، وان لغتها ليست التمثيل فقط، بل هي لغة لحقيقة واقعية، ونحن نقتصر على ذكر جوانب الخلاف التي سبق ان أشرنا الى بعضها.

1 – ان خليفة الله موجود مادي مركب من القوى الغضبية والشهوية والدار دار تزاحم محدودة الجهات وافرة المزاحمات لا يمكن ان تتم فيها الحياة الا بايجاد العلاقات الاجتماعية وما يستتبعها من تصادم الامر الذي يؤدي الى الفساد وسفك الدماء.

2 – ان الملائكة حين تعجبوا كانوا يرون ان الغاية من جعل الخلافة هو أن يحكى الخليفة ومستخلفه بتسبيحه بحمده وتقديسه له بوجوده والارضية لا تدعه يفعل ذلك بل تجره الى الفساد والشر والغاية من هذا الجعل بتسبيحهم بحمد الله وتقديسهم له.

3 – ان آدم استحق الخلافة لقدرته على تحمل السر الذي هو عبارة عن تعلم الاسماء التي هي اشياء حية عاقلة محجوبة تحت حجاب الغيب محفوظة عند الله. وقد انزل الله كل اسم في العالم بخيرها وبركتها واشتق كل ما في السموات والارض من نورها وبهائها. وانهم على كثرتهم وتعددهم لا يتعددون تعدد الافراد وانما يتكاثرون بالمراتب والدرجات.[1]

1 . السيد محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص463.

وقد قسّم بعض الباحثين الاستخلاف إلى قسمين عام وخاص.

والاستخلاف العام هو استخلاف البشر كلهم في الأرض، وقد بدأ هذا الاستخلاف من حين أن أهبط الله آدم وزوجته حواء إلى الأرض بعد معصيتهما، فالخطاب في الآية " اهبطوا " لآدم وحواء وإبليس عليه لعنة الله، ولهذا قال بعدها " بعضكم لبعض عدو" أي الشيطان عدو لآدم وحواء[1]، وقوله " ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين " أي أنكم سوف تستقرون في الأرض، وتنتفعون بما أعطاكم الله وسخر لكم من النعم التي عليها، ولكن هذا ليس على وجه الدوام والخلود، بل "إلى حين" أي إلى قيام الساعة، حيث ينتهي هذا الاستخلاف.

فمحل الاستخلاف العام الأرض بما فيها وما عليها، وهو ليس خاصاً بفئة دون أخرى، أو بجنس دون آخر، بل يشمل ذرية آدم جميعها، مسلمهم وكافرهم، ذكرهم وأنثاهم، من دون تحديد بجنسٍ معين، وبناءً على هذا الاستخلاف العام فإن الأصل اشتراك البشر جميعاً في الانتفاع مما أوجد الله في الأرض من خيرات وطيبات، فهم على حدٍ سواء فيها.

والقسم الثاني هو الاستخلاف الخاص وهو أن تستقل أمة من الأمم أو فرد من الأفراد في ملكية شيء من الأشياء، وهو بدوره ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: استخلاف الدول، بأن تستقل أمة من الأمم في إقليم من الأرض تحكم فيه نفسها ويكون لها سلطان يحمي مصالحها ويدبر شئونها.[2]

وقد أشار القرآن إلى هذا النوع من الاستخلاف في قوله تعالى عن داود عليه السلام **{ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ }**[3]، حيث كان حاكماً في أرض مملكته، وقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتمكين في الأرض واستخلافهم فيها كما حصل لمن كان

1 . انظر: الدكتور عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الاسلامي، ص9.
2 . انظر: الدكتورأحمد الحصري، السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي، ص136.
3 . سورة ص: 26.

قبلهم **{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ }**[1]، وهذا من استخلاف الاقوام والدول.[2]

والنوع الثاني: استخلاف الأفراد، وهذا النوع يكون في استقلال الفرد في ملكية ما تحت يده من الأموال سواءً كانت أموالاً ثابتة أو منقولة، فهو مستخلف فيها استخلافاً خاصاً، ومصدر هذا النوع من الاستخلاف راجع إلى أحد أمرين: [3]

أ. الاستخلاف العام: وذلك في حالة كون مصدر ملكية الفرد لهذا الشيء مباشراً من الملكية العامة كإحرازه بعض المباحات والصيد، أو من انتاج الفرد نفسه عن طريق استعماله وتفعيله لبعض المواد في الأرض كالزراعة والصناعة ونحوهما. فالأفراد وفقاً لمبدأ استخلافهم العام في الأرض قد جعل الله لهم سلطاناً مباشراً على ما فيها من الخيرات والطيبات ومكَّن لهم الانتفاع منها.

ب. استخلاف خاص: وذلك إذا كان مصدر ملكية الفرد للشيء من مالك سابق عليه كالإرث أو الوصية أو من عقد يترتب عليه انتقال الملكية، فيكون حل محل المستخلِف السابق عليه فيما استُخلِف فيه.

فكل من ملك مالاً بطريق شرعي فهو مستَخْلَف فيه، سواء كان مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً أو غير ذلك، قال تعالى **{ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}**[4]، أي كلا الفريقين ممن كان يريد الدنيا، أو يريد الآخرة نعطيه من رزقنا، وما كان رزقنا ممنوعاً عن أحد من عبادنا إذا اتخذ الأسباب الموصلة إليه.[5]

يقول الطبري في تفسير الاية" يمد ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما

---

1 . سورة النور: 55.
2 . انظر: الدكتور عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الاسلامي، ص10.
3 . المصدر السابق.
4 . سورة الاسراء: 20.
5 . البغوي، تفسير البغوي، ج3، ص91.

جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم"[1]

كما يمكن الاستدلال على كون الانسان هو خليفة الله في أرضه من قوله تعالى **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}**[2]، وقد أختلف المفسّرون في معنى كلمة الأمانة، يقول صاحب تفسير الامثل" لقد ذكرت تفاسير مختلفة للأمانة ومن جملتها: أن المراد من الأمانة: هي الولاية الإلهية، وكمال صفة العبودية، والذي يحصل عن طريق المعرفة والعمل الصالح. أن المراد: صفة الاختيار والحرية والإرادة التي تميز الإنسان عن سائر الموجودات. أن المراد: العقل الذي هو ملاك التكليف، ومناط الثواب والعقاب. أن المراد: أعضاء جسم الإنسان، فالعين أمانة الله، ويجب الحفاظ عليها وعدماستعمالها في طريق المعصية، والاذن واليد والرجل واللسان كلها أمانات يجب حفظها. أن المراد: الأمانات التي يأخذها الناس بعضهم من بعض، والوفاء بالعهود. أن المراد: معرفة الله سبحانه. أن المراد: الواجبات والتكاليف الإلهية كالصلاة والصوم والحج"[3]

ويقول البغوي في تفسير الاية" قال الله لآدم: إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فتحملها آدم، وقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: أما إذا تحملت فسأعينك، اجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه، واجعل للسانك لحيين غلقا فإذا غشيت فأغلق، واجعل

1 . الطبري، تفسير الطبري، ج17، ص411.
2 . سورة الاحزاب: 72.
3 . مكارم الشيرازي، تفسير الامثل، ج13، ص368.

لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك، قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر"[1]

وهناك معنى جميل ذكره ابن عاشور في تفسيره حول هذه الاية نقتطف منه ما هو مرتبط بموضوع بحثنا، فيقول" قوله (عرضنا) هنا استعارة تمثيلية لوضع شيء في شيء؛ لأنه أهل له دون بقية الأشياء، وعدم وضعه في بقية الأشياء لعدم تأهلها لذلك الشيء ، فشبهت حالة صرف تحميل الأمانة عن السماوات والأرض والجبال ووضعها في الإنسان بحالة من يعرض شيئا على أناس فيرفضه بعضهم ويقبله واحد منهم على طريقة التمثيلية ... وفائدة هذا التمثيل تعظيم أمر هذه الأمانة إذ بلغت أن لا يطيق تحملها ما هو أعظم ما يبصره الناس من أجناس الموجودات . فتخصيص السماوات والأرض بالذكر من بين الموجودات لأنهما أعظم المعروف للناس من الموجودات ، وعطف الجبال على الأرض وهي منها لأن الجبال أعظم الأجزاء المعروفة من ظاهر الأرض وهي التي تشاهد الأبصار عظمتها... وقرينة الاستعارة حالية وهي عدم صحة تعلق العرض والإباء بالسماوات والأرض والجبال لانتفاء إدراكها فأنى لها أن تختار وترفض وكذلك الإنسان باعتبار كون المراد منه جنسه وماهيته لأن الماهية لا تفاوض ولا تختار... ولذلك فأفعال (عرضنا، وأبين، ويحملنها، وأشفقن منها، وحملها) أجزاء للمركب التمثيلي، وهذه الأجزاء صالحة لأن يكون كل منها استعارة مفردة بأن يشبه إيداع الأمانة في الإنسان وصرفها عن غيره بالعرض... وأما الأمانة فهي ما يؤتمن عليه ويطالب بحفظه والوفاء دون إضاعة ولا إجحاف، وقد اختلف فيها المفسرون على عشرين قولا وبعضها متداخل في بعض... وهذه الأقوال ترجع إلى أصناف: صنف الطاعات والشرائع، وصنف العقائد، وصنف ضد الخيانة، وصنف العقل، وصنف خلافة الأرض... ويجب أن يطرح منها صنف الشرائع لأنها ليست لازمة لفطرة الإنسان فطالما خلت أمم عن التكليف بالشرائع وهم أهل الفترة... ويبقى سائر الأصناف، فيجوز أن تكون الأمانة أمانة الإيمان، أي توحيد الله، وهي العهد الذي أخذه

1 . البغوي، تفسير البغوي، ج6، ص381.

الله على جنس بني آدم...فالمعنى: أن الله أودع في نفوس الناس دلائل الوحدانية فهي ملازمة للفكر البشري فكأنها عهد الله لهم به وكأنه أمانة ائتمنهم عليها ... ويجوز أن تكون الأمانة هي العقل وتسميته أمانة تعظيم لشأنه ولأن الأشياء النفسية تودع عند من يحتفظ بها، والمعنى : أن الحكمة اقتضت أن يكون الإنسان مستودع العقل من بين الموجودات العظيمة لأن خلقته ملائمة لأن يكون عاقلا...والقول في حمل معنى الأمانة على خلافة الله تعالى في الأرض مثل القول في العقل؛ لأن تلك الخلافة ما هيأ الإنسان لها إلا العقل... فالخلافة في الأرض هي القيام بحفظ عمرانها ووضع الموجودات فيها في مواضعها ، واستعمالها فيما استعدت إليه غرائزها "[1] ، فهنا جعل ابن عاشور الامانة بمعنى الخلافة، وهو قريب مماذكره بعض المفسّرين أيضا.

ويقول الطباطبائي في بيانه وتفسيره للآية " الأمانة - أيا ما كانت - شئ يودع عند الغير ليحتفظ عليه ثم يرده إلى من أودعه، فهذه الأمانة المذكورة في الآية شئ ائتمن الله الانسان عليه ليحفظ على سلامته واستقامته ثم يرده إليه سبحانه كما أودعه. ويستفاد من قوله (ليعذب الله المنافقين والمنافقات)الخ، أنه أمر يترتب على حمله النفاق والشرك والايمان، فينقسم حاملوه باختلاف كيفية حملهم إلى منافق ومشرك ومؤمن. فهو لا محالة أمر مرتبط بالدين الحق الذي يحصل بالتلبس به وعدم التلبس به النفاق والشرك والايمان. فهل هو الاعتقاد الحق والشهادة على توحده تعالى، أو مجموع الاعتقاد والعمل بمعنى أخذ الدين الحق بتفاصيله مع الغض عن العمل به، أو التلبس بالعمل به أو الكمال الحاصل للانسان من جهة التلبس بواحد من هذه الأمور. وليست هي الأول أعني التوحيد فان السماوات والأرض وغيرهما من شئ توحده تعالى وتسبح بحمده، وقد قال تعالى: (وان من شئ الا يسبح بحمده) والآية تصرح بابائها عنه. وليست هي الثاني أعني الدين الحق بتفاصيله؛ فان الآية تصرح بحمل الانسان كائنا من كان من مؤمن وغيره له، ومن البيّن أن أكثر من لا يؤمن لا يحمله ولا علم له به، وبهذا يظهر أنها ليست بالثالث وهو التلبس بالعمل بالدين الحق تفصيلا.

---

1 . ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج23، ص126.

وليست هي الكمال الحاصل له بالتلبس بالتوحيد فان السماوات والأرض وغيرهما ناطقة بالتوحيد فعلا متلبسة به. وليست هي الكمال الحاصل من أخذ دين الحق والعلم به إذ لا يترتب على نفس الاعتقاد الحق والعلم بالتكاليف الدينية نفاق ولا شرك ولا ايمان ولا يستعقب سعادة ولا شقاء وانما يترتب الأثر على الالتزام بالاعتقاد الحق والتلبس بالعمل. فبقي أنها الكمال الحاصل له من جهة التلبس بالاعتقاد والعمل الصالح وسلوك سبيل الكمال بالارتقاء من حضيض المادة إلى أوج الاخلاص الذي هو أن يخلصه الله لنفسه فلا يشاركه فيه غيره فيتولى هو سبحانه تدبير أمره وهو الولاية الإلهية. فالمراد بالأمانة الولاية الإلهية وبعرضها على هذه الأشياء اعتبارها مقيسة إليها والمراد بحملها والاباء عنه وجود استعدادها وصلاحية التلبس بها وعدمه، وهذا المعنى هو القابل؛ لان ينطبق على الآية فالسماوات والأرض والجبال على ما فيها من العظمة والشدة والقوة فاقدة لاستعداد حصولها فيها وهو المراد بابائهن عن حملها واشفاقهن منها"[1]، فالطباطبائي يرى إن هذه الأمانة هي الولاية الالهية، وهي بمعنى اخر الخلافة الإلهية إذا قلنا ان الخلافة في الاية هي خلافة الإنسان لله تعالى وهو الرأي المشهور والأكثر قبولا.

وأخيرا يقول مكارم الشيرازي في تفسيره حول هذه الامانة" ان الإنسان موجود له استعدادات وقابليات يستطيع من خلال استغلالها أن يكون أتم مصداق لخليفة الله، ويستطيع أن يصل إلى قمة العظمة والشرف باكتساب المعرفة وتهذيب النفس وتحصيل الكمالات، وأن يسمو حتى على الملائكة. إن هذا الاستعداد المقترن بالحرية والإرادة والاختيار يعني أن الإنسان يطوي هذا الطريق بإرادته واختياره، ويبدأ فيه من الصفر ويسير إلى ما لا نهاية. إن السماء والأرض والجبال تمتلك نوعا من المعرفة الإلهية، وهي تذكر الله سبحانه وتسبحه، وتخضع لعظمته وتخشع لها وتسجد، إلا أن كل ذلك ذاتي وتكويني وإجباري، ولذلك ليس فيه تكامل ورقي، والموجود الوحيد الذي لا ينتهي منحنى صعوده ونزوله، وهو قادر على إرتقاء قمة التكامل

[1] . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج16، ص349 -351.

بصورة لا تعرف الحدود، ويقوم بكل هذه الأعمال بإرادته واختياره، هو الإنسان، وهذه هي " الأمانة الإلهية " التي امتنعت من حملها كل الموجودات، وحملها الإنسان.. بناء على هذا يجب القول في عبارة مختصرة أن الأمانة الإلهية هي قابلية التكامل غير المحدودة والممتزجة بالإرادة والاختيار، والوصول إلى مقام الإنسان الكامل، وعبودية الله الخاصة وتقبل ولاية الله... بناء على هذا فإن أولئك الذين فسّروا الأمانة بصفة الاختيار والحرية في الإرادة، قد أشاروا إلى جانب من هذه الأمانة العظمى، كما أن أولئك الذين فسروها بالعقل، أو أعضاء البدن، أو أمانات الناس لدى بعضهم البعض، أو الفرائض والواجبات، أو التكاليف بصورة عامة، قد أشار كل منهم إلى غصن من أغصان هذه الشجرة العظيمة المثمرة، واقتطف منها ثمرة. لكن ما هو المراد من عرض هذه الأمانة على السماوات والأرض؟ هل المراد: أن الله سبحانه قد منح هذه الموجودات شيئا من العقل والشعور ثم عرض عليها حمل هذه الأمانة؟ أو أن المراد من العرض هو المقارنة؟ أي أنها عندما قارنت حجم هذه الأمانة مع ما لديها من القابليات والاستعدادات أعلنت عدم لياقتها واستعدادها عن تحمل هذه الأمانة العظيمة. طبعا، يبدو أن المعنى الثاني هو الأنسب، وبهذا فإن السماوات والأرض والجبال قد صرخت جميعا بأنا لا طاقة لنا بحمل هذه الأمانة...إن الإنسان الذي ينادى من العرش، وبني آدم الذين وضع على رؤوسهم تاج (كرمنا بني آدم) والبشر الذين هم وكلاء الله في الأرض بمقتضى قوله سبحانه: إني جاعل في الأرض خليفة والإنسان الذي كان معلما للملائكة وسجدت له، كم يجب أن يكون ظلوما جهولا لينسى كل هذه القيم السامية الرفيعة، ويجعل نفسه أسيرة هذه الدنيا، وتابعا لهذا التراب، ويكون في مصاف الشياطين"[1]

فهنا أيضاً جعل الامانة مساوية لاية الخلافة في الارض وكون الانسان خليفة الله تعالى في أرضه.

1 . مكارم الشيرازي، تفسير الامثل، ج13، ص370.

وذهب ابن عربي في تفسيره إلى أن هذه الاية {إنا عرضنا الأمانة} في مضمونها تعني آية الخلافة، ويقول وأي أمانة أعظم من النيابة عن الحق في عباده، إشارة إلى مسألة الخلافة، عندما قال الله تعالى أني جاعل في الارض خليفة.[1]

1 . محمود الغراب، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القران ،ج3، ص418.

المبحث الثاني

مبررات استفهام الملائكة لعلمهم بفساد الخليفة

بعد ان تحدثنا عن الاستخلاف والخلافة للانسان وخصوصيتها، تذكر الآية سؤال الملائكة الذي وجّهوه لربّ العالمين مستفسرين لا معترضين:**{ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}؟** فأجاب الله سبحانه بقوله: **{قَالَ إِنّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلمُونَ}**[1]

والظاهر من الآية ان سؤال الملائكة على جعل آدم خليفة في الارض هو عن سبب وجدوى جعل مثل كهذا خليفة يفسد في الارض؟ والكلام هو في كيفية معرفة الملائكة بصفة الإفساد في هذا الخليفة؟ وقد ذكر المفسّرون عدّة آراء نستعرضها في هنا إجمالاً ونشير قبل الاشارة إليها تفصيلا:

1: استفهام الملائكة كان لعلمهم بطبيعة الانسان وتكوينه وغرائزه التي أودعها الله فيه ومحدودية عالم الدنيا الذي يؤدي لا محالة إلى التزاحم مما يسب الفساد والقتل وسفك الدماء.

2: ان اللّه سبحانه وتعالى اعلمهم بذلك لأن الملائكة لا يمكن ان يقولوا هذا القول رجماً بالغيب وعملاً بالظن.[2]

3: انهم قاسوا ذلك على المخلوقات التي سبقت هذا الخليفة الذي سوف يقوم مقامها كما يشير الى ذلك بعض الروايات والتفاسير.[3]

---

1 . سورة البقرة: 30.
2 . الطوسي، تفسير التبيان،ج 1،ص132.
3 . المصدر السابق، ج1، ص133

وهنا نتناول هذه الآراء بالتفصيل.

المطلب الأول: استفهام الملائكة لعلمهم بطبيعة الانسان وتكوينه

ذكر بعض المفسّرين إن استفهام الملائكة هو ناشيء من علمهم معرفتهم بطبيعة الإنسان نفسه التي تقتضي الإفساد، وهو بدوره ذكره المفسرون في قولين؛ الاول ان التركيب المادي والروحي لهذا المخلوق من القوى المختلفة وكذلك كون دار الدنيا سعتها الوجودية ضيقة فهي دار تزاحم هي التي جعلت الملائكة يعرفون ذلك، يقول صاحب تفسير الميزان" ان الموجود الارضي بما انه مادي مركب من القوى الغضبية والشهوية والدار دار التزاحم محدودة الجهات وافرة المزاحمات مركباتها في معرض الانحلال وانتظاماتها واصطلاحاتها مظنة الفساد ومصب البطلان لا تتم الحياة فيها الا بالحياة النوعية ولا يكمل البقاء فيها الا بالاجتماع والتعاون فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء"[1]

والقول الثاني هو ان الارادة الانسانية بما اعطيت من اختيار يتحكم في توجيهها العقل بمعلوماته هي التي تؤدي بالانسان الى أن يفسد في الارض ويسفك الدماء يقول بعض المفسرين" ان اللّه أودع في فطرة هذا النوع الذي يجعله خليفة ان يكون ذا ارادة مطلقة واختيار في عمله غير محدود، وان الترجيح بين ما يتعارض من الاعمال التي تعن له تكون بحسب علمه، وان العلم اذا لم يكن محيطاً بوجوه المصالح والمنافع فقد يوجه الارادة الى خلاف المصلحة والحكمة، وذلك هو الفساد، وهو معين لازم الوقوع"[2]

ويقول ابن قيّم الجوزيّة في تفسيره" لو كان فعله مجردا عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم به أن سألوا هذا السؤال، ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم ما لا يعلمونه من الحكم والمصلحة التي في خلق هذه الخليفة، ولهذا كان سؤالهم إنما وقع عن وجه الحكمة لم يكن اعتراضا على الرب تعالى، ولو قدر أنه على وجه

1 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج1، ص119؛ الرازي، التفسير الكبير،ج 1،ص121.
2 . محمد رشيد رضا، تفسيرالمنار،ج 1،ص256.

الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شيئا إلا لحكمة، فلما رأوا أن خلق هذا الخليفة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك... ثم أظهر سبحانه من علمه وحكمته الذي خفي على الملائكة من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه بأن جعل من نسله من أوليائه وأحبائه ورسله وأنبيائه من يتقرب إليه بأنواع التقرب ويبذل نفسه في محبته ومرضاته يسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار ويذكره قائما وقاعدا وعلى جنبه ويعبده ويذكره ويشكره في السراء والضراء والعافية والبلاء والشدة والرخاء فلا يثنيه عن ذكره وشكره وعبادته شدة ولا بلاء ولا فقر ولا مرض ويعبده مع معارضة الشهوة وغلبات الهوى وتعاضد الطباع لأحكامها ومعاداة بني جنسه وغيرهم له فلا يصده ذلك عن عبادته وشكره وذكره والتقرب إليه، فإن كانت عبادتكم لي بلا معارض ولا ممانع فعبادة هؤلاء لي مع هذه المعارضات والموانع والشواغل، وأيضا فإنه سبحانه أراد أن يظهر لهم ما خفي عليهم من شأن ما كانوا يعظمونه ويجلونه ولا يعرفون ما في نفسه من الكبر والحسد والشر"[1]

وذهب بعض المفسّرين إلى أنّ تنبؤ الملائكة يعود إلى تجربتهم السابقة مع مخلوقات سبقت آدم، وهذه المخلوقات تنازعت وسفكت الدماء وخلفت في الملائكة انطباعاً مرّاً عن موجودات الارض، والملائكة بيّنوا حقيقة من الحقائق، ولذلك لم ينكر الله عليهم قولهم، بل أشار إلى أن ثمة حقائق أُخرى إلى جانب هذه الحقيقة، حقائق ترتبط بمكانة الإنسان في الوجود؛ وهذا ما لم تعرفه الملائكة.

ويقول ابن كثير" ان قول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم، كما قد يتوهمه بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي: لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقا ... وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا:(أتجعل فيها)، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن

1 . ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ص5.

نسبح بحمدك ونقدس لك، أي: نصلي لك ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال" إني أعلم ما لا تعلمون" أي إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله"[1]

المطلب الثاني :علمهم بالخلق الذي سبق الخليفة

وذهب بعض المفسرين تبعا للروايات الورادة في تفسير الاية ان سؤالهم كان لعلمهم بالخلق الذي سبق خلق أبينا أدم، سواء كان أدم غيره أو جن،وهنا نشير إلى هذا القول بالتفصيل.

1: الخلق السابق قبل أبونا آدم هو آدم

لقد ورد المعنى الاول في روايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالقول بأن آدم ليس أول البشر، وجاءت الروايات في المصادر المعتبرة لتؤيد هذا المعنى، فقد نقل المفيد في كتاب الاختصاص عنرسول الله رواية تؤيد وجود أدم قبل أبونا أدم بمليونين سنة، قال" عن رسول الله في حديث طويل سأله أحدهم: من سكن الأرض قبل آدم؟ قال "صلى الله عليه وآله": الجن. قال: وقبل الجن؟ قال: الملائكة. قال: وقبل الملائكة؟، قال: آدم، قال: فكم كان بين الجن وبين الملائكة ؟ قال: سبعة آلاف سنة، قال: فبين الملائكة وبين آدم؟، قال: ألفي ألف سنة"[2] فالرواية تدل على كون الأرض مسكناً لبني آدم قبل الملائكة ويؤيده قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؛ لأنه يعلم منه أن الملائكة عالمون بكيفية سلوك بني آدم في الأرض وإفسادهم فيها وهذا لا يمكن إلا أن يسبقوا الملائكة بفساد آدم قبل ابونا آدم الذي نحن ننتمي إليه.

---

1 . ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص217.

2 . المفيد، الاختصاص،ص50.

ونقل الصدوق في كتابيه التوحيد والخصال عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: { أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيد}[1] ، فقال: يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق و هذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجدد عالما من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم، لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد، وترى أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم، بل والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين"[2]

وفي حديث اخر نقله الصدوق ايضاً عن محمد بن مسلم قال" سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض فاسكنوها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم خلق الله آدم أبا هذا البشر وخلق ذريته منه"[3]

وقد ذكر الرازي في تفسيره هذه الرواية عن الامام الباقر حيث يقول" عن محمد بن علي الباقر "عليه السلام" أنه قال: قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم، أو أكثر، وأقول : هذا لا يقدح في حدوث العالم بل الأمر كيف كان، فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول هو أول الناس، وأما أن ذلك الإنسان هو أبونا آدم، فلا طريق إلى إثباته إلا من جهة السمع"[4]

وهو ما ذكره صاحب تفسير المعاني أيضا نقلا عن الباقر والصادق(عليهما السلام)، فيقول" والذي عليه الجماعة من الفقهاء والمحدثين ومن وافقهم أنه ليس سوى آدم واحد ــ وهو أبو البشر ــ وذكر صاحب "جامع الأخبار" من الإمامية في الفصل الخامس عشر خبراً طويلاً نقل فيه أن الله تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم، بين كل

---

1 . سورة ق: 15.
2 . انظر: الصدوق، التوحيد،ص277؛ الصدوق، الخصال، ص652.
3 . الصدوق، الخصال، ص359.
4 . الرازي، التفسير الكبير، ج19، ص117.

آدم وآدم ألف سنة، وأن الدنيا بقيت خراباً بعدهم خمسين ألف سنة، ثم عمرت خمسين ألف سنة، ثم خلق أبونا آدم "عليه السلام"، وروى ابن بابويه في كتاب "التوحيد" عن الصادق في حديث طويل أيضاً أنه قال : لعلك ترى أن الله تعالى لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين، وقال الميثم في "شرحه الكبير على النهج" ونقل عن محمد بن علي الباقر أنه قال: قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر... وفي كتاب "الخصائص" ما يكاد يفهم منه التعدد أيضا الآن حيث روى فيه عن الصادق أنه قال: إن لله تعالى إثني عشر ألف عالم، كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم أن لله عز وجل عالماً غيرهم، وأني للحجة عليهم، ولعل هذا وأمثاله من أرض السمسمة وجابرسا وجابلقا إن صح محمول على عالم المثال لا على هذا العالم الذي نحن فيه، وحمل تعدد آدم في ذلك العالم أيضاً غير بعيد، وأما القول بظواهر هذه الأخبار فمما لا يراه أهل السنة والجماعة... نعم إن آدمنا هذا "عليه السلام" مسبوق بخلق آخرين كالملائكة والجن وكثير من الحيوانات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى لا بخلق أمثاله وهو حادث نوعاً وشخصاً خلافاً لبعض الفلاسفة في زعمهم قدم نوع الإنسان"[1]

وذكر ابن عربي في كتابه الفتوحات رؤية تؤيد الرأي القائل إن قبل ادمنا هذا مائة الف ادم فيقول" لقد أراني الحق تعالى فيما يراه النائم وأنا طائف بالكعبة مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم، فأنشدونا بيتين، ثبت على البيت الواحد ومضى عني الآخر، فكان الذي ثبت عليه من ذلك لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا أجمعينا، وخرج عني البيت الآخر، فتعجبت من ذلك، فقال لي واحد منهم، وتسمى لي باسم لا أعرف ذلك الاسم: ثم قال لي أنا من أجدادك. قلت له كم لك منذ مت؟ فقال لي بضع وأربعون ألف سنة. فقلت له فما لآدم هذا القدر من السنين؟ فقال لي عن أي آدم تقول؟

1 . الآلوسي، تفسير روح المعاني،ج4، ص180.

عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره؟ فتذكرت حديثاً عن رسول الله ص إن الله خلق مائة ألف آدم"[1]

ونقل الصدوق في كتابه من لا يحضره الفقيه عن بكير بن أعين، عن زرارة قال" قلت لأبي عبد الله "عليه السلام": جعلني الله فداك أسألك في الحج منذ أربعين عاما فتفتيني، فقال: يا زرارة بيت يحج قبل آدم "عليه السلام" بألفي عام، تريد أن تفنى مسائله في أربعين عام"[2]

وذكر بعض المحققين المتاخرين عدم استبعاد العقل لهذا الرأي، بل هو أمر ممكن وليس من المحال في شيء فيقول مانصّه" البحث الفلسفي في ضوء المنهج العقلي يسلمنا إلى النتيجة القائلة بإمكان وجود عوالم أخرى غير عالمنا هذا؛ لأن القول بالفكرة لا يلزم منه الوقوع في غائلة الدور أو التسلسل أو التناقض، والبحث الديني يوصلنا إلى وقوع أو تحقق وجود عوالم أخرى غير عالمنا هذا، لما ورد في حديث جابر الجعفي عن الإمام محمد الباقر"عليه السلام": لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد، وترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين. والبحث العلمي يدلنا على حقيقة تلكم العوالم، أو يكشف لنا على الأقل عن جانب من حقيقة تلكم العوالم، فقد عثرت الكشوف العلمية الحديثة على هياكل بشرية مشابهة لهيكل هذا الإنسان الحالي، كانت تعيش على الأرض قبل ملايين السنيين"[3]

2: الخلق السابق قبل أبونا آدم هو الجن

وهذا الرأي الثاني الذي يذهب إلى ان الملائكة كانوا قد رأوا خلقا قبل أبونا آدم فسدوا في الارض وهم الجن، وقد ورد في روايات كثيرة أيضا هذا المعنى، فينقل ابن كثير في تفسيره ان الجن هم الذين كانوا قبل ادم وفسدوا في الارض، يقول نقلا عن

1 . ابن عربي، الفتوحات المكية،ج 3، ص 549.
2 . الصدوق، من لا يحضره الفقيه،ج 2،ص 219.
3 . عبد الهادي الفضلي، اصول البحث العلمي،ص39.

ابن عباس" قال: أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء، وقتل بعضهم بعضا. قال: فبعث الله إليهم إبليس، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق آدم وأسكنه إياها، فلذلك قال إني جاعل في الأرض خليفة"[1] ، ثم ينقل" إن الجن كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون الدماء، ولكن جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون، فقالوا بالقول الذي علمه" [2]

وينقل المجلسي في البحار في حديث طويل عن أمير المؤمنين حول الخلق قبل آدم حيث يقول" عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام :هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم وذريته، فقال :نعم، قد كان في السماوات والأرض خلق من خلق الله يقدسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل والنهار لا يفترون، فإن الله عز وجل لما خلق الأرضين خلقها قبل السماوات، ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله، فأسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقدسونه الليل والنهار... ثم خلق عز وجل في الأرض الجن روحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة... فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهن يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون، ثم خلق خلقا دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون (نسناس) أشباه خلقهم، وليسوا بإنس، وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجن يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون...ثم إن طائفة من الجن والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجن تمردوا وعتوا عن أمر الله، فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحق، وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم، وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى... وكان إبليس واسمه (الحارث) يظهر للملائكة أنه من الطائفة المطيعة...وقال: إن الله أحب أن يخلق خلقا، وذلك بعد ما مضى للجن والنسناس سبعة آلاف سنة، فلما كان من خلق الله أن يخلق آدم للذي أراد من التدبير والتقدير... ثم قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض

1 .ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص219.
2 . المصدر السابق.

من خلقي من الجن والنسناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي؟ فاطلعت ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض الأرض بغير الحق أعظموا ذلك وغضبوا الله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم وقالوا: يا ربنا أنت العزيز الجبار القاهر العظيم الشأن وهؤلاء كلهم خلقك الضعيف الذليل في أرضك كلهم يتقلبون في قبضتك ويعيشون برزقك ويتمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك"[1]

فالظاهر من هذا الحديث ان الجن والنسناس هم الذين كانوا يفسدون في الارض، وقد ذكر ابن كثير في تفسير ذيل الاية في كتابه البداية والنهاية، ان هناك خلق مع الجن قبل آدم يسمى الحن والبن، فيقول" قيل: علموا (الملائكة) أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الحن والبن، وقال عبد الله بن عمر كانت الحن والبن قبل آدم بألفي عام، فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جندا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور، وعن ابن عباس نحوه ، وعن الحسن ألهموا ذلك. وقيل: لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ. فقيل : أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له: السجل. رواه عن أبي جعفر الباقر، وقيل: لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالبا"[2]

ويقول في موضع اخر" قال كثير من علماء التفسير خُلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان في الأرض قبلهم الحن والبن فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم و أجلوهم عنها و أبادوهممنها و سكنوها بعدهم"[3]

1 . المجلسي، بحار الانوار، ج54، ص324.
2 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص168.
3 . المصدر السابق، ص50.

المطلب الثالث: الله أعلمهم بإن الذي يفسد هم الذرية الفاسدة

وهناك رأي أخر يذهب إلى أن الله تعالى هو الذي أعلم الملائكة بهذا الفساد، فعلم الملائكة بالفساد وسفك الدماء التي أعترض الملائكة في الاية مصدرها علم الله تعالى، وان ذرية آدم وليس هو آدم نفسه يفسدون ويسفكون الدماء، فعن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي (ص) قال:" أن الله جل ثناؤه قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها، فمن غير خلفائه، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله - لأنهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته - إذ سألوه: ما ذاك الخليفة؟ إنه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا، فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه، وأخرج منه خليفته"[1]

ثم يضيف الطبري" فثبت أن الخليفة الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء هو غير آدم ، وأنهم ولده الذين فعلوا ذلك، وأن معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنا غيرهم لما وصفنا، وأغفل قائلو هذه المقالة سبيل التأويل، وذلك أن الملائكة إذ قال لها ربها (إني جاعل في الأرض خليفة) لم تضف الإفساد وسفك الدماء في جوابها ربها إلى خليفته في أرضه، بل قالت: أتجعل فيها من يفسد فيها؟ وغير منكر أن يكون ربها أعلمها أنه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الإفساد وسفك الدماء"[2]

وكذلك هناك آية أخرى تعطي معنى خلافة الإنسان في الارض هي قوله تعالى في سورة الأنعام {وَهُوَ الّذِى جَعَلَكمْ خَلاَئِف الأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتٍ

1 . الطبري، تفسير الطبري،ج1، ص237.
2 . المصدر السابق.

لِّيَبْلُوَكُمْ فى مَا ءَاتَاكُمْ إِنّ رَبّك سرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنّهُ لَغَفُورٌ رّحِيمُ}[1]، فقد ذهب بعض المفسّرين فللاية إنها تعطي معنى خلافة الغنسان لله تعالى في الارض، يقول صاحب تفسير الامثل"الخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف، وهما بمعني من يقوم مقام أحد بعده، والتاء المضافة إلى الكلمة تفيد المبالغة، وقال جمع آخر من أهل اللغة: الخلائف جمع خليف وخليفة... في هذه الآية التي هي آخر الآيات من سورة الأنعام إشارة إلى أهمية مقام الإنسان ومكانته في عالم الوجود لتكميل الأبحاث الماضية في مجال تقوية دعائم التوحيد، ومكافحة الشرك، يعني أن يعرف الإنسان قيمة نفسه، كأرقى وأفضل كائن في عالم الخلق، ولا يسجد للخشب والحجر، ولا يركع أمام الأصنام المختلفة الأخرى، ولا يقع في أسرها، بل يكون أميرا وحاكما عليها بدل أن يكون أسيرا ومحكوما لها. لهذا قال تعالى في مطلع كلامه: هو الذي جعلكم خلائف الأرض. إن الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه، والذي سخرت له كل منابع هذاالعالم وصدر الأمر بحكومته على جميع الموجودات من جانب الله تعالى، لا يجوز أن يسمح لنفسه بالسقوط إلى درجة السجود للجمادات. ثم أشار سبحانه إلى اختلاف المواهب والاستعدادات في المواهب البدنية والروحية لدى البشر، والهدف من هذا الاختلاف والتفاوت، فيقول: ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم من المواهب المتنوعة والمتفاوتة ويختبركم بها"[2]

ويقول الطباطبائي في تفسيره للآية" الخلائف جمع خليفة أي يستخلف بعضكم بعضا أو استخلفكم لنفسه في الأرض، وقد مرّ كلام في معنى هذه الخلافة في تفسير قوله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة ومعنى الآية ظاهر بما مرّ من البيان... و محصّله أن هذا النظام العجيب الذي يحكم في معاشكم في الحياة الدنيا وهو مبني على خلافتكم في الأرض واختلاف شئونكم بالكبر والصغر والقوة والضعف والذكورية والأنوثية والغنى والفقر والرئاسة والمرئوسية والعلم والجهل وغيرها وإن كان نظاما اعتباريا لكنه ناش من عمل التكوين منته إليه، فالله سبحانه هو ناظمه، و إنما فعل ذلك لامتحانكم

1 . سورة الانعام، 165.

2 . مكارم الشيرازي، تفسير الامثل، ج 4، ص549.

و ابتلائكم، فهو الرب الذي يدبر أمر سعادتكم، و يوصل من أطاعه إلى سعادته المقدرة له ويذر الظالمين فيها جثيا، فهو الذي يحق عبادته"[1]

وهناك جملة من المفسّرين ذهبوا إلى ان المقصود من الخلائف في الارض هي الخلافة عن الله تعالى في الارض، فالانسان هو خليفة الله تعالى في أرضه.

المطلب الرابع: تعليم آدم الاسماء

لا بأس هنا من الاشارة تتمة لبحثنا معنى الأسماء التي علّمها الله تعالى لآدم، والأسماء في قوله تعالى(وعلم آدم الأسماء كلها) جمع محلى باللام وهو يفيد العموم على ما صرّحوا به، مضافا إلى أنه مؤكد بقوله (كلها) فالمراد بها كل اسم يقع لمسمى ولا تقييد ولا عهد، ثم قوله: عرضهم، دال على كون كل اسم- أي مسماه- ذا حياة وعلم وهو مع ذلك تحت حجاب الغيب، غيب السموات والأرض.[2]

وفي تفسير العياشي، عن زرارة قال: دخلت على أبي جعفر (ع) فقال: أي شيء عندك من أحاديث الشيعة فقلت: إن عندي منها شيئا كثيرا فقد هممت أن أوقد لها نارا فأحرقها فقال (ع): وارها، تنس ما أنكرت منها، فخطر على بالي الآدميون، فقال: ما كان علم الملائكة حيث قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال وكان يقول أبو عبد الله (ع): إذا حدث بهذا الحديث هو كسر على القدرية، ثم قال أبو عبد الله (ع): إن آدم (ع) كان له في السماء خليل من الملائكة، فلما هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك وشكى إلى الله تعالى وسأله أن يأذن له، فأذن له فهبط عليه فوجده قاعدا في قفرة من الأرض، فلما رآه آدم وضع يده على رأسه وصاح صيحة، قال أبو عبد الله (ع): يروون أنه أسمع عامة الخلق فقال له الملك: يا آدم ما أراك إلا وقد عصيت ربك وحملت على نفسك ما لا تطيق، أتدري ما قال لنا الله فيك فرددنا عليه؟ قال: لا، قال: قال: إني جاعل في الأرض خليفة، قلنا أتجعل فيها من يفسد فيها

1 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج7، ص396.
2 . ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ص8.

ويسفك الدماء؟ فهو خلقك أن تكون في الأرض أيستقيم أن تكون في السماء؟ قال أبو عبد الله (ع) والله عزى بها آدم ثلاثا.[1]

وقد وقع الخلاف حول حقيقة ومعنى هذه الاسماء بين علماء التفسير ويمكن تقسيم الآراء على نحو كلي إلى قسمين؛ الرأي الاول هو ان المراد من الاسماء هي الالفاظ التي سمّى الله سبحانه بها من خلقه من اجناس وانواع المحدثات وفي جميع اللغات؛ لان الله سبحانه كان قد علم آدم جميع اللغات الرئيسية.[2]

والرأي الثاني هو ان المراد من الاسماء هي المسميات او صفاتها وخصائصها لا الالفاظ، وحينئذ فنحن بحاجة الى القرينة القرآنية أو العقلية التي تصرف اللفظ الى هذا المعنى الذي قد يبدو انه يخالف ظاهر الاطلاق القرآني، ويمكن ان تكون القرينة أمور عدّة منها:

أ: ان العلم الحقيقي انما هو ادراك نفس المعلومات وحقيقتها، والالفاظ الدالّة عليها تختلف باختلاف اللغات التي تجري بالمواضعة والاصطلاح فهي تتغير وتختلف، والمعنى لا تغيير فيه ولا اختلاف.[3]

ب: ان الاسماء حين يقصد منها الالفاظ فهي اذن من الاشياء التي لا يمكن تحصيلها الا بالتعليم، فلا يحسن تحدي الملائكة بها، اذ لا دلالة على وجود موهبة خاصة في معرفة الاسماء، وهذا على خلاف ما اذا قلنا ان المقصود منها المسميات فانها مما يمكن ادراكه ولو جزئياً - عن طريق استعمال العقل والذهن - فيكون لمعرفة آدم بها دلالة على موهبة خاصة منحه الله اياها، يقول الطوسي في تفسيره "ان الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لايثاره الفضيلة بها" [4]، وكذلك ذهب الرازي إلى التصريح "ان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات البتة، بل ذلك لا يحصل الا بالتعليم، فان

---

1 . العياشي ، تفسير العياشي، ج1، ص29.
2 . الطوسي ، تفسير التبيان،ج1، ص138؛ الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 176.
3 . محمد رشيد رضا، تفسيرالمنار،ج 1،ص262.
4 . الطوسي ، تفسير التبيان،ج1، ص138.

حصل التعليم حصل العلم به، والا فلا، اما العلم بحقائق الاشياء فالعقل متمكن من تحصيله، فصح وقوع التحدي فيه"[1]

ج: ان هذه الاسماء لو كانت الفاظاً لتوصل الملائكة الى معرفتها بانباء آدم لهم بها، وهم بذلك يتساوون مع آدم فلا تبقى له مزيّة وفضيلة عليهم، فلا بد لنا من ان نلتزم بانها اشياء تختلف مراتب العلم بها، الامر الذي ادّى ان يعرفها آدم بمعرفة خاصة تختلف عن معرفة الملائكة لها حين اخباره لهم بها، وهذا يدعونا لان نقول انها عبارة عن المسميات لا الالفاظ، قال العلامة الطباطبائي بهذا الخصوص" وعلم آدم الاسماء كلها .. يُشعر بان هذه الاسماء أو ان مسمياتها كانت موجودات احياء عقلاء محجوبين تحت حجاب الغيب، وان العلم بأسمائهم كان غير العلم الذي عندنا باسماء الاشياء، والاّ كانت الملائكة بانباء آدم اياهم بها عالمين بها وصائرين مثل آدم مساوين معه"[2] اما القرائن والعلاقة التي صححت استعمال لفظ الاسماء بدلاً من لفظ المسميات، فالرازي يرى ان القرينة هي في مصدر اشتقاق الاسم، فانه اما أن يكون من السمة او من السمو، فان كان من السمة كان الاسم هو العلامة، وصفات الاشياء ولقوتها دالة على ماهياتها فصح ان يكون المراد من الاسماء الصفات، وان كان من السمو فكذلك؛ لان دليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء، فان العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول"[3]

وبعضهم يرى ان هذه القرينة هي في شدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له، وسرعة الانتقال من احدهما الى الآخر، بل أكثر من ذلك، فإن الاسم قد يطلق اطلاقاً صحيحاً على صورة المعلوم الذهنية (اي ما به يعلم الشيء عند العالم)، فاسم الله مثلاً هو ما به عرفناه في اذهاننا لا نفس اللفظ بحيث يقال: اننا نؤمن بوجوده ونسند اليه صفاته، فالاسماء هي ما يعلم بها الاشياء في الصور الذهنية، وهي العلوم المطابقة للحقائق الخارجية، والاسم بهذا المعنى هو الذي جرى الخلاف بين الفلاسفة في انه

1 . الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 176.
2 . الطباطبائي، تفسير الميزان، ج1، ص117.
3 . الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 176.

عين المسمّى أو غيره، الامر الذي يدعونا ان نقول ان للاسم معنى آخر غير اللفظ اذ لا شك بان اللفظ غير المعنى، والاسم بهذا الاطلاق ايضاً هو الذي يتبارك ويتقدس (سبح اسم ربك الاعلى)[1]؛ اذ لا معنى لان يكون اللفظ هو الذي يتبارك ويتقدس.[2]

ووقع الإختلاف في حقيقة هذه المسميات كذلك، فبعضهم يراها موجودات احياء عقلاء، ولعله يفهم هذه الحياة لها والعقل من قوله تعالى (ثم عرضهم) حيث استعمل ضمير الجماعة المختص بمن يعقل، وقال بعض المفسرين"علمه الله اسماء ذريته واسماء الملائكة"[3]

والظاهر من كلام الرازي والطوسي ان المراد من هذه الاسماء جميع الاشياء من غير تحديد ولا تعيين.[4]

فتحصّل أن هؤلاء الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى، محجوبة بحجب الغيب، أنزل الله سبحانه كل اسم في العالم بخيرها وبركتها واشتق كل ما في السماوات والأرض من نورها وبهائها، وأنهم على كثرتهم وتعددهم لا يتعددون تعدد الأفراد، ولا يتفاوتون تفاوت الأشخاص، وإنما يدور الأمر هناك مدار المراتب والدرجات ونزول الاسم من عند هؤلاء إنما هو بهذا القسم من النزول.

وفي رواية أخرى يشيرالإمام الصّادق(عليه السلام) إلى معنى الاسماء في تفسير هذه الآيات، يقول(ع):"إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ حُجَجِهِ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ وَهُمْ أَرْواحٌ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِؤُنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِأَنَّكُمْ أَحَقُّ بِالْخِلاَفَةِ فِي الأَرْضِ لِتَسبِيحِكُمْ وَتَقْدِيسِكُمْ مِنْ آدَمَ فَقَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَقَفُوا

1 . سورة الاعلى: 1.
2 . انظر: محمد رشيد رضا، تفسيرالمنار،ج 1،ص262.
3 . الطوسي ، تفسير التبيان،ج1، ص138.
4 . الرازي، تفسير الرازي، ج 2، ص 176.

عَلَى عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ عَزِّ ذِكْرُهُ فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونوا خُلَفَاءَ اللهِ في أَرْضِهِ وَحُجَجَهِ عَلى بَرِيَّتِهِ ثُمَّ غَيَّبَهُمْ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَاسْتَعْبَدَهُمْ بِوِلاَيَتِهِمْ وَمَحبَّتِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ"[1]

وأخيراً يقول بعض المفسّرين حول حقيقة هذه الاسماء ما نصّه" «وَعَلَّمَ» أى أعطىٰ آدم كثيراً من العلم، وأعطاه العلم الشديد المستجمع للكثير، أو ربّاه بالتعليم الذي هو مخلوقه تعالىٰ، ومجعوله خليفةً، والذى هو مورد سؤال الملائكة، والمنسوب إليه أنّه يسفك كذا ويُفسد، وكان بحسب التاريخ مبدأ هذه السلسلة من بنى آدم، وهو الأب الأوّل «اَلأَسْمَاءَ كُلَّهَا»؛ أي كلّ واحد ممّا كان له الاسم علّمه، وما لم يكن له الاسم فلا تعليم بالنسبة إليه، أو علّم مجموع الأسماء بتعليم واحد، فيكون الواحد محتوياً على الكثير، فالعامّ على الأوّل استغراقي وأُصولي، وعلى الثاني مجموعي والنتيجة أنّ التعليم يجوز أن يكون علىٰ نعت الكثرة، ويجوز أن يكون علىٰ نعت الوحدة الاستجماعية.

ثُمَّ بعد مضىّ زمان طويل لتدريب آدم علىٰ تلك المعلومات، ولصيرورتها مَلَكة راسخة فى وجوده؛ كي يخلص من الامتحان والافتتان على أحسن وجه عند الملائكة، أو كان ذلك التأخير حُكمياً؛ لأنّ المتعارف بعد التعليم بحسب النوع هو التأخير فى العرض «عَرَضَهُمْ»؛ أي الأسماء باعتبار إضافة طائفة منها إلىٰ ذوى العقول، اكتسبت الأسماء منها التعقل، فجاز عود الضمير العاقل إليها؛ أي عرض آدم اسم كلّ واحد من الملائكة وبنى آدم وسائر أسماء الأشياء، وباعتبار عرض المسمّيات فتكون المسمّيات ذوات العقول وغيرها، ويكفي اشرفيتها لجواز إرجاعه إليها كلّها، ويجوز أن يختصّ العرض بذوي العقول؛ أي عرض ذوي العقول، فلا يكون جميع الأشياء مورد التعليم لهذه الجهة ولتلك القرينة، ويجوز

1 . الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج1، ص13.

أن يكون التعليم عامّاً صغيراً وكبيراً عاقلاً وغير عاقل، والعرض خاصّاً ولذلك فصل بين الضميرين"[1]

يتضح مما تقدم أنّ الآراء في حقيقة هذه الأسماء والمسميات قد تعددت وبعضها ناظر إلى حقيقة تلك الاسماء وبعضها الاخر ناظر إلى بعض مصاديق تلك الاسماء، والحقيقة ان ترجيح قول ‘لى أخر يحتاج إلى تأمل في أدلة وقرائن كل قول ومن ثم الترجيح بينهما.

1 . انظر: السيد مصطفى الخميني، تفسير القرآن الكريم، ج5، ص361.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث توصلنا إلى بعض النتائج نذكرها بشكل مختصر:

1: الاستفهام في اللغة هو السّؤال والاستفسار عن شيء لا يعلمه السائل، ويكون ذلك باستخدام أدوات الاستفهام، وفي الاصطلاح هو استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، والاّ فهو التصور.

2: ينقسم الاستفهام الى نوعين: حقيقي ومجازي، والاستفهام الحقيقي هو الذي ورد على أصل معناه، وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول، وهو معنى من المعاني يطلب به المتكلم من السامع بانه يعلمه مالم يكن معلوما عنده من قبل وينقسم الى قسمين ايضا الاستفهام التصديقي وهو اثبات النسبة بين شيئين أو نفيهما بنعم أو لا؛ والاستفهام التصوري وهو الذي يطلب به احد الشيئين وفي هذه الحالة يأتي احد هذين الشيئين بعد همزة الاستفهام مباشرة.

والثاني هو الاستفهام المجازي ويسمى ايضًا بالإستفهام البلاغي، وهذا النوع من الاستفهام لا يقصد به الاستفهام بعينه؛ وإنما يُراد منه قصد آخر غير الاستفهام؛ إذ إن الغرض منه هو غرض بلاغي وليس استفهاماً حقيقياً، وقد كان لمثل هذا النوع من الاستفهام حضور واسع في القرآن الكريم، وهو استفهام يكون المستفهم عن الشيء عارفا به مع استفهامه في الظاهرعنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء منها التوبيخ أو التقرير أي أن يسمع الجواب من المسؤول عنه.

3: بقج أتضح من خلال البحث انّ من أكثر الأساليب التي تكررت في كتاب الله هو أسلوب الاستفهام، وفي إحصائية لآيات القرآن الكريم نجد هناك ما يزيد عن مائتين وألف سؤال وأستفهام مذكورة في القرآن الكريم أغلبها أسئلة يسألها الله سبحانه وتعالى لخلقه.

وكما بيّنّا فإن الاستفهام من حيث الأصل يستعمل عن أمر يجهله السائل، وأكّدّنا بإنه بهذا المعنى يستحيل في حق الله سبحانه وتعالى؛ لانه يعني جهله تعالى، وهذا محال عقلا ونقلا، لكن قد يستعمل الاستفهام على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، فما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً، وقد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعاني، ومن خلال مطالعة وآستقراء الآيات القرآنية توصلنا إلى إن الاستفهام ورد في الكتاب الكريم على قسمين.

الاول أساليب حكاها القرآن عن البشر، وهي بدورها تنقسم إلى نوعين، النوع الأول هو الاسلوب الحقيقي، وهو إسلوب إستفهامي حكاه القرآن الكريم في محاورات البشر فيما بينهم ولا سيما الأنبياء مع أممهم، والنوع الثاني هو الاسلوب البلاغي.

والثاني هو اسلوب الاستفهام في مخاطبة الله تعالى للبشر، وهو أسلوب أستعمله القرآن الكريم في موارد عدّة، وهوعلى سبيل المجاز، والمراد من هذا الاسلوب في الاستفهام لفت النظر لأمور كثيرة، كالتنبيه واللوم والتحذير وغيرها، ويكثر هذا النوع من الإستفهام في الآيات القرآنية بشكل واضح وبأسلوب يتميز به القرآن، وقد استخدم القرآن الكريم أساليب كثيرة للاستفهام على سبيل المجاز ولها معاني كثيرة أشرنا إليها مثل الاستفهام بمعنى التعجب والاستفهام بمعنى العتاب واللوم والاستفهام بمعنى التقريروالاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ وغيرها.

4: أما بخصوص حقيقة الخلافة والإستخلاف فد توصلنا إلى انّ معنى الإستخلاف لغة تأتي لأحد معانٍ ثلاث، الأول هو أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه، سميت بذلك لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه، اما الثاني فهو خلاف قدَّام، والثالث التَغيُّر ورأينا أتفاق علماء اللغة ان هذا الاشتقاق اللغوي، اسم يصلح استعماله لمطلق الجنس، فلذلك فهو ينطبق على الذكر والانثى ويكون بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول.

اما الاستخلاف في المعنى الإصطلاحي فهو قريب من المعنى اللغوي للخلافة، وتوصلنا إلى انّ الاستخلاف إصطلاح إستعمله القرآن الكريم للمقام الذي خصّ به الله تعالى الإنسان دون غيره من المخلوقات تكريماً وتشريفًا له، فالإستخلاف هو تفويض للإنسان بخلافته تعالى على الأرض، وله أركان ثلاثة هي المستخلِف وهو الله سبحانه وتعالى، والخليفة وهو الإنسان، وموضوع الاستخلاف وهي الأرض في الدنيا، فالخلافة هي تشريف للإنسان وفي نفس الوقت تكليف الهي للإنسان ليباشر مهمة الاعمار والبناء في الأرض، وأيضا أتضح من خلال البحث إن الخلافة ليست وقفا على أبونا آدم الإنسان الأول، وانما هي تمتد لتشمل نوع الانسان الذي سيتفرع من آدم منذ بدء الخليفة الى نهاية الدنيا، فهو أيضًا مكلف بحمل مسوؤلية الاستخلاف.

5: من خلال البحث رأينا وجود نظريتين بخصوص اللغة التي أستعملها القرآن الكريم في هذه المحاورة بين الله تعالى والملائكة، فهناك من يرى ان الحوار والقصة وردت مورد التمثيل لغرض تقريبها من تناول افهام الخلق لها لتحصل لهم الفائدة من معرفة حال النشأة الاولى، وعلى هذا الاساس يمكننا ان نفهم كثيراً من جوانب هذه المحاورة والالفاظ التي استعملت فيها دون ان تتقيد بالمعنى اللغوي العرفي لها. وهناك من يرى انها ليست لغة تمثيلية بل حقيقية، فخليفة الله موجود مادي مركب من القوى الغضبية والشهوية والدار دار تزاحم لا يمكن ان تتم فيها الحياة الا بايجاد العلاقات الاجتماعية وما يستتبعها من تصادم الامر الذي يؤدي الى الفساد وسفك الدماء. وان تعجب الملائكة منشاؤه فهمهم ان الغاية من جعل الخلافة هو التسبيح والتقديس لله تعالى، والارضية لا تدعه يفعل ذلك، بل تجرّه الى الفساد والشر.

6: أتضح من خلال البحث تقسيم بعض الباحثين الاستخلاف إلى قسمين عام وخاص. وتوصلنا إلى ان الاستخلاف العام هو استخلاف البشر كلهم في الأرض، وقد بدأ هذا الاستخلاف من حين أن أهبط الله آدم وزوجته حواء إلى الأرض بعد معصيتهما، ولكن هذا ليس على وجه الدوام والخلود، بل إلى قيام الساعة، حيث ينتهي هذا الاستخلاف.

فمحل الاستخلاف العام الأرض بما فيها وما عليها، وهو ليس خاصاً بفئة دون أخرى، أو بجنس دون آخر، بل يشمل ذرية آدم جميعها، اما الاستخلاف الخاص فهو أن تستقل أمة من الأمم أو فرد من الأفراد في ملكية شيء من الأشياء، وهو بدوره ينقسم إلى نوعين، الأول استخلاف الدول، بأن تستقل أمة من الأمم في إقليم من الأرض تحكم فيه نفسها ويكون لها سلطان يحمي مصالحها ويدبر شئونها، والنوع الثاني استخلاف الأفراد، وهذا النوع يكون في استقلال الفرد في ملكية ما تحت يده من الأموال سواءً كانت أموالاً ثابتة أو منقولة، فهو مستخلف فيها استخلافاً خاصاً.

7: توصلنا من خلال البحث ان سؤال الملائكة على جعل آدم خليفة في الارض هو عن سبب وجدوى جعل مثل كهذا خليفة يفسد في الارض، وقد ذكر المفسّرون عدّة آراء، فمنهم من قال ان استفهام الملائكة كان لعلمهم بطبيعة الانسان وتكوينه وغرائزه التي أودعها الله فيه ومحدودية عالم الدنيا الذي يؤدي لا محالة إلى التزاحم مما يسب الفساد والقتل وسفك الدماء. ومنهم من ذهب إلى ان اللّه سبحانه وتعالى اعلمهم بذلك لأن الملائكة لا يمكن ان يقولوا هذا القول رجماً بالغيب وعملاً بالظن، ومنهم من يرى أنهم قاسوا ذلك على المخلوقات التي سبقت هذا الخليفة الذي سوف يقوم مقامها كما يشير الى ذلك بعض الروايات والتفاسير.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر

1. ابن جنّي، عثمان، اللمع في العربية، الكويت، دار الكتب الثقافية، 1998م.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر،2001م.
3. ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكية، بيروت، دار المعرفة، 1998م.
4. ابن فارس، احمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.
5. ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، 1378ش.
6. ابن قيم الجوزية، محمد ابن ابي بكر، مفتاح دار السعادة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م.
7. اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت، دار الهادي، 2001م.
8. اسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير، بيروت، دار المعارف، 1996م.
9. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، داراحياء التراث العربي، 1997م.
10. أنيس وآخرون، إبراهيم، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة،1370 هـ . ق..
11. ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دمشق، دار الفكر، 1985م.
12. ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، تحقيق: مجموعة من مشايخ الأزهر، مصر، المطبعة المنيرية، 1986م.
13. الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، دارأحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.

14. أبي البقاء، أيوب بن موسى، الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م.

15. السيوطي، عبد الرحمن، الاشباه والنظائر في النحو، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1987م.

16. محمد ابراهيم، أساليب الاستفهام في البحث البلاغي، اطروحة دكتوراه، باكستان، اسلام آباد، كلية اللغة العربية، 2007م.

17. الآلوسي، شهاب الدين محمود، تفسير روح المعاني، بيروت، دار الكتب العلمي، 1415 هـ .

18. البابرتي، محمد بن محمد، شرح التلخيص، الرياض، مكتبة جامعة الملك سعود، 1407 هـ.

19. البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، بيروت ، دار المعرفة، 1989م.

20. الجرجاني، علي ابن محمد، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.

21. الجرجاني، عبد القادر، دلائل الاعجاز، قم، مطبعة امير، 1404 هـ .

22. الجوهري، اسماعيل بن حماد، صحاح اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، 1996م.

23. الخطيب، عبد الكريم، الخلافة والإمامة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2004م.

24. عبد الله الناصر، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الاسلامي، الرياض، جامعة الملك سعود، 2005م.

25. أحمد الحصري، السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي، جدة، مكتبة المعارف، 1984م.

26. الرازي ، محمدبن ابي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، مكتبة دار الاضواء، بيروت ،1992م.

27. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415ق.

28. الأصفهاني، راغب، معاني مفردات القرآن الكريم، دارالكتب العلمية، طهران، 1378ش.

29. الرملي، محمد ابن ابي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، بيروت، دار الفكر، 1984م.

30. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس، نشر دار الفكر، بيروت، 1414ق.

31. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار التراث، 1989م.

32. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف في تفسير القرآن، طهران، دار الكتب، ١٣٨٨ش.

33. الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994م.

34. الدسوقي، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، اصفهان، مكتبة الشفيعي، 1357 ش.

35. السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2000م.

36. السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م.

37. سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م.

38. الخوئي، ابوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الاعلمي، 1987م.

39. الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، قم، مجمع الفكر الاسلامي، 1379 هـ . ش.

40. السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، 1426 هـ.

41. الحموي، بدر الدين محمد، شرح كافية ابن الحاجب في النحو، بيروت، مكتبة نشر، 1998م.

42. الشهيد الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، قم، مركز الابحاث والدراسات التخصصية، 1429 هـ.

43. الكاشاني، محسن، تفسير الصافي، طهران، مكتبة الصدر،1367 ش.

44. صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مصر، مطبعة الأمانة، 1986م.

45. الصدوق، التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي، نشر مؤسسة البعثة، قم، 1378 هـ. ش.

46. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، الخصال، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1385ق.

47. الصدوق، محمد بن علي، من لايحضره الفقيه، نشر مؤسسة البعثة، قم، 1417ق.

48. طباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، نشر اسماعيليان، قم، 1374ش.

49. طبرسي، احمد بن علي، الاحتجاج، نشر المرتضى، مشهد المقدسة، 1383ش.

50. الطبرسي، الفضل بن حسن، تفسير مجمع البيان، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، 1417ق.

51. الطبري ، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة ، بيروت، 2004م.

52. الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، نشر معارف اهل البيت (ع)، قم، 1382ش.

53. الطوسي، محمدبن حسن، تفسير التبيان، دارالكتب الاسلامية، قم، 1369ش.

54. عبد العليم السيد، أساليب الاستفهام في القران الكريم، القاهرة، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب الادتماعية، بلا تا.

55. عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، الشام، مطبعة الشام، 1999م.

56. عبد الهادي الفضلي، اصول البحث العلمي، قم، مؤسسة دار الكتب العلمية، 1387 هـ .ش.

57. عبده الراجحي، التطبيق النحوي، بيروت، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،1999م.

58. العربي، محمد بن عبدالله ،أحكام القرآن، دارالجيل، بيروت،1991م.

59. عمر سليمان، عالم الملائكة الأبرار، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م .

60. العياشي ، محمدبن مسعود ، تفسير العياشي، موسسة البعثة، قم، 1378ش.

61. فضل الله، محمد حسين، من وحي القران، بيروت، دار الملاك ، 1987م.

62. الفارابي، ابو نصر، رسالة فصوص الحكم، طهران، انتشارات حكمت،1389هـ . ش.

63. الفيروزي آبادي، مرتضى، القاموس المحيط، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1998م.

64. الفيومي، احمد ابن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، 1998م.

65. القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، دارالكتب العلمية، بيروت، 1993م.

66. القزويني، ابن يعقوب، شروح التلخيص، بيروت، دار الكتب العلمية، 1989م.

67. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، مكتبة آية الله مرعشي النجفي، قم المقدسة، 1383ش.

68. المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، القاهرة، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1994م.

69. المجلسي، محمد باقر، بحار الانور، مؤسسة اسماعيليان، قم المقدسة، 1388.ش.

70. محمّد رشيد، رضا، تفسير المنار، بيروت، دارالفكر،1424ق.

71. محمد محي الدين، المختار من صحاح اللغة، بيروت، دار السرور،1985م.

72. عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لاسلوب القران الكريم، القاهرة، دار الحديث، 2014م.

73. مركز نون، خلافة الانسان سلسلة دروس في فكر الشهيد الصدر، بيروت، جمعية المعارف الاسلامية، 2011م.

74. الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، قم، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، 1376 هـ . ش.

75. التفتازاني، سعد الدين، المطوّل على التلخيص، قم، مكتبة الداوري، 1379 هـ . ش.

76. المفيد، محمد بن النعمان، الاختصاص، بيروت، دار الهادي، 1993م.

77. مكارم شيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دارالكتب الاسلامية، قم، 1379ش.

78. المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين النظرية والتطبيق، تونس، جامعة تونس، كلية الآداب، 1991 م.

79. منى حسين، الاستفهام في العربية دراسة تركيبية، اطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الاردن، 2002م.

80. المودودي، ابو الأعلى، نظام الحياة في الإسلام، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1997م.

81. النحاس، ابي جعفر، معاني القرآن، السعودية، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي،1423 هـ .

82. الهاشمي، احمد ابن ابراهيم، جواهر البلاغة، بيروت، المكتبة العصرية، 1997م.